وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم علم التاريخ

العنوان:

الجزائر العثمانية من خلال الكتابات الجزائرية

دراسة تحليلية

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة ماستر في علم التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

- أمينة بكاي
- نعيمة دراجي

إشراف الأستاذ:

- عبد الرحمان قفاف

السنة الجامعية 2015 – 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الإهداء

اسهم بشكري العظيم للخالق الكريم

الذي من أغدق علية برحمة واسعة لا تعد ولا تحصى

والذي أتمنى ان يتقبل خلاصة جهدي.

الى من جاهد وعانى الشقاء وكافح من

أجلنا وشق لي طريق النجاح ابي الغالي

الى اسمى انسانة في الوجود لا تكفي

اللمات لوصفها ولا العبارات بشكرها امي الغالية

الى اخواتي هاجر اسيا والى أخي اسماعيل

والى كل منساهم معي في هذا الانجاز.

آمنة

الإهداء

إلى التي تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها

إلى من تمتهن الحب وتعزل الامل في قلبي عصفورا يرفرف فوق ناصية الاحلام

فتبقى روحي متلألئة ومشرقة طالما كانت دعوتها عنوان دربي وتبقى امنياتي

على وشك التحقق طالما يدها في يدي وصنارة جهديها وصهرها تصطاد لي الراحة

وتخطف الراحة والالم من قلبي وعندما تكسوني الهموم اصبح في بحر حبها وحنانها

ليخفف بل يزيل آلامي ، الى امي التي مهما كبرت فسأبقى طفلتها التي تكتب اسمها

على دفتر قلبها ساعة حزنها ويهتف .

لكي يا والدتي الحبيبة يا سيدة القلبي والحياة أهديك رسالتي لتهديني الرضى

والدعاء .

الى روح والدي الكريم رحمه الله واسكنه جنة الفردوس .

الي إخوتي وأخواتي واولادهن وأزواجهن .

الى من تقاسمت معها اتعاب هذا العمل المتواضع بكاي آمنة .

الى صديقتي وتوأم روحي مريم هقة وعائلتها الكريمة سارة صفاء وهاجر .

دراجي نعيمة

شکر و تقدیر

شكر وتقدير

بكل عبارات التقدير والاحترام وبكل كلمات الشكر والامتنان نتقدم بتحياتنا

الخالصة الى الاستاذ المشرف الدكتور قفاف عبد الرحمان على المساعدة الكبيرة التي

قدمها لنا ،فقد كانت توجيهاته الصائبة ومراقبته الدائمة لكل خطوة نتقدم بها في بحثنا مهمة

جدا فشكرا جزيلا استاذنا الكريم، كما نقدم تشكراتنا وتحياتنا الخالصة الى كل اساتذة قسم

التاريخ ونخص بالذكر الاستاذ كعبوش بو مدين والاستاذ بن سعيدان محمد على المساعدة التي

قدماها لنا طيلة مشوارنا الدراسي .

آمنة ، نعيمة

مقدمة

المقدمة:

شهدت الجزائر منذ مطلع القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي وإلى غاية وقوعها تحت الاحتلال الفرنسي 1830م تطورات أثرت بشكل واضح على المسيرة التاريخية وطبعت بطابع مميز عن الفترات السابقة مما اثار اهتمام الكثير من المؤلفين والكتاب والرحالة فكتب كل واحد فيما أثار اهتمامه ولفت نظره.

تباينت الآراء واختلفت حول فترة الحكم العثماني فالكثير من الفقهاء والعلماء والمثقفين كانوا يرون فيها المدافعة عن الدين وعن المسلمين في الجزائر حين ذكر آخرون مساوئها وظلم حكامها للرعية اما الغربيين فان معظمهم قد ركز جهودهم على القرصنة ومسألة الاسرى والاضرار التي لحقت الامن والنشاط التجاري قبضة الحكم العثماني في الجزائر فهذا الاختلاف في وجهات النظر هو الذي دفع بنا الى التفكير في البحث عن معرفة الحقيقة من خلال المدرسة التاريخية الجزائرية وما تناولته من مؤلفات.

ومن بين اهم الاسباب التي دفعت بنا الى اختيار هذا الموضوع هي :

- ان موضوع الجزائر العثمانية من خلال الكتابات الجزائرية مهما لما تتميز به المدرسة التاريخية الجزائرية من مميزات وتطورات.
- اثبات وجود مدرسة تاريخية جزائرية.
- ان الابحاث المتعلقة بالجزائر العثمانية تفتقر الي الشمولية فهي في الغالب علاقات او وضع من الاوضاع كالسياسي والثقافي اجتماعي..... لذلك اردنا اثراء الموضوع.
- ان الاستاذ المشرف هو الذي اقترح علينا هذا الموضوع بعدما كنا في حيرة من امرنا فأعجبنا لأننا وجدناه مميزا وجديرا بالبحث.

ولعل ما سبق دفعنا الى الخوض في تفاصيل ما كتبه المؤرخون الجزائريون سعيا منا للإلمام بهذه الفترة وما مدى مساهمة المدرسة في رفع الستار عنها منطلقين من إشكالية جاءت صياغتها على الشكل الآتي:

كيف ساهمت المدرسة التاريخية من خلال مؤلفاتها ودراساتها في الالمام بفترة الجزائر العثمانية في شتى مجالاتها ؟

واذا ما حولنا تجزئة هذه الاشكالية الى جملة من التساؤلات فإنها ستكون على الشكل التالي:

- هل استطاعت الكتابات الجزائرية تغطية جوانب من فترة الجزائر العثمانية ؟

- والى اي مدى اسهمت في رفع الستار عن جوانب من الحياة السياسية الاقتصادية الاجتماعية الثقافية؟

وللإجابة عن الاشكالية التي طرحناها اعتمدنا على خطة قسمنا فيها هذه الدراسة الى مقدمة وثلاثة فصول كل فصل يمثل جانب من الجوانب الجزائر خلال العهد العثماني باستثناء الفصل الاول الذي هو فصل تمهيدي عن الموضوع فكانت الخطة على النحو التالي :

الفصل الأول عنوانه الوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني وقد قسمناه الي ثلاث مباحث علي التوالي:

البحث الأول تناولنا فيه نظام الحكم في الجزائر الذي وضح لنا العديد من المؤلفين الحكم السائد انا ذاك ونظامه.

اما المبحث الثاني فخصصناه الى الثورات والتمردات الذي تميزت بها الجزائر خلال فترت الحكم العثماني ونقصد به أهم ثورات هذا العهد وقد ذكر بعض المؤرخين أهمها ثورة ابن الاحرش وثورة زواوة وغيره.

أما البحث الثالث فقد تناولنا فيه العلاقات والمعاهدات فالعلاقات العثمانية الجزائرية العثمانية والعلاقات الجزائرية الايطالية ومعاهداتهم معا ايضا علاقة الجزائر بالبرتغال وعلاقاتها مع الدول الاخرى

اما الفصل الثاني فعنونه الوضع الاجتماعي والثقافي وقد قسمنا هذا الفصل بدوره الى اربع مباحث وهي كالتالي:

المبحث الاول التركيبة السكانية والتي تميزت باختلاف الفئات واختلاف الاجناس فنجد هنا كل مؤلف جزائري ذكر معلومات حول تناقص وتزايد السكان.

أما المبحث الثاني فتناولنا فيه الوضع الصحي في الجزائر وما صاحبها من كوارث كزلازل والفيضانات ايضا الاوبئة والمجاعات .

اما المبحث الثالث فركزنا فيه عن أهم المرتكز التعليمية كالمساجد والدارس والزوايا والكتاتيب ودورهم في نشر الثقافة والتعليم .

اما المبحث الرابع فتناولنا فيه اهم العلماء ومؤلفاتهم ايضا ذكرنا بعض رحلاتهم كما ركزنا على دورهم نشر العلم والثقافة.

اما الفصل الثالث عنوانه الوضع الاقتصادي فقسمنا هذا الفصل الى ثلاث مباحث.

المبحث الأول فتناولنا الصناعة في الجزائر خلال العهد العثماني فركزنا على اهم الحرف و اهم الصناعات المحلية واليدوية .

اما المبحث الثاني ركزنا على اهم الزراعة الجزائرية وواهم المنتوجات الزراعية ونوعية الاراضي الفلاحية ومشكلات الزراعة انا ذاك.

اما المبحث الثالث فتناولنا فيه التجارة واهم المبادلات التجارية والعملة المتداولة في الجزائر خلال العهد العثماني.

وختمنا رسالتنا بخاتمة ضمت أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا اليها ودعمناها بملاحق مختلفة وانهيناها بالفهرس والبيبليوغرافيا.

وقد حاولنا جاهدينا من خلال تناولنا هذا الموضوع الالتزام بالمنهج التاريخي التحليل الذي أخذناه عن الأستاذ المشرف مشكورا باعتباره منهجا صالحا لتحليل أهم الاحداث والحقائق التاريخية وتحليلها تحليلا تاريخيا علميا وموضوعيا بعيدا عن الذاتية الاحكام الفردية اعتمادا على قراءة جادة للمصادر التاريخية المتنوعة والمراجع المتوفرة.

وقد وجب علينا التوقف عند بعض المصادر والمراجع التي تعتبر من المؤلفات المهمة في موضوعنا بداية بكتاب ابو القاسم سعد الله (تاريخ الجزائر الثقافي) الذي يعد مصدرا للحياة الثقافية للجزائر العثمانية لاعتماده المخطوطات والرسائل بالإضافة الى نصر الدين سعيدوني (النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني) ومحمد العربي الزبيري (التجارة الخارجية في الشرق الجزائري) اللذان اسهما في ابراز الحياة الاقتصادية من خلال الوثائق الارشيفية وترجمة المراسلات والمعاهدات دون أن ننسى حمدون خوجة في كتاب (المرآة) ويحى بوعزيز(اعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة) وارزقي شويتام (المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني) وتركيزهما عن الحياة السياسية والاجتماعية من خلال ما سبق ذكره والقائمة طويلة لا يسعنا ذكرها.

ومن خلال بحثنا واجهتنا بعض الصعوبات والمتمثلة في عدم الحصول على بعض المؤلفات التي نرى انها من الاهمية بمكان ولكن كما يقال لكل حصان كبوة ولكل عمل هفوة متمنينا اننا قد اعطينا الموضوع حقه وتمكنا من الالمام من جزئياته.

فصل التمهيدي

المدرسة التاريخية الجزائرية

المدرسة التاريخية الجزائرية:

إن الفترة العثمانية لم تنل الدراسة اللائقة بها والاهتمام الجدير لها بحيث أن الكتاب الجزائريين ظلوا يعتبرون الفترة العثمانية خاتمة لأبحاثهم المتعلقة بالقرون الوسطى أو تمهيدا لدراساتهم المتصلة بفترة الاحتلال ،بحيث أن اغلب من أرخوا للحركة الوطنية ارجعوا أصول هذه الحركة إلى مقاومة الأمير عبد القادر، ورأوا أنها تنبع من رفض الشعب الجزائري للاحتلال الفرنسي لا أكثر ولا أقل وبذلك انتهى أغلبهم إلى القول بأن تكوين الأمة الجزائرية يرتبط باندلا ع مقاومة ضد الفرنسيين متجاهلين عن قصد أو عن غير قصد فترة ما قبل الاحتلال التي عرفت أثنائها الجزائر مقومات الأمة و كيان الدولة.

وبفعل هذه النظرة التي لا تعطي للفترة العثمانية مكانتها اللائقة بها ضمن تاريخ الجزائر ظل تاريخ الجزائر العثمانية أشبه شيء بفترة ما قبل التاريخ حسب تعبير جاك بيرك إن لم نقل بأنها أصبحت تشكل الحلقة المفقودة في تاريخ الجزائر.

وإن النظرة الموضوعية للفترة العثمانية من تاريخ الجزائر تفرض علينا أن نقر بأن فهم تاريخ الجزائر الحديث فهما صحيحا متماشيا مع الواقع والحقيقة لا يتأتى إلا بدراسة هذه الفترة دراسة تعتمد على المصادر الأساسية وتستند إلى الوثائق الأصلية التي تشكل المادة الخام والعمود الفقري لأي بناء تاريخي[1].

وانطلاقا من هذه النظرة نحاول التعرف على نوع وطبيعة الدراسات التي تمت في هذا المجال ، وذلك بتلمس خصائص الإنتاج التاريخي المتعلق بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر وهذا الذي يمكن أن ندرجه في المدرسة التاريخية الجزائرية والذي كتبه الجزائريون وهو اقل إنتاجا ولكن أكثر شمولا .

وصنف آخر والذي بدأ يساهم به خريجو الجامعات من الجزائريين وغيرهم وهو يتصف باحترام المنهج التاريخي وبالتقيد بطرق البحث الحديث مع عدم اتخاذ موقف محدد قبل التوصل إلى نتائج معينة وهذا يعتبر نادر الإنتاج ولم يغطي أغلب المواضيع لحداثته وقلة المنتسبين إليه فانه يمثل في نظرنا مساهمة جديدة لإعادة تقييم تاريخ الجزائر العثمانية ضمن إطار مدرسة تاريخية جزائرية موضوعية ومنهجية.

[1] – ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ،البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2012 ط 2 ، ص 37

إنتاج المدرسة التاريخية الجزائرية:

كان خير معبر عن الشعور الوطني الفياض الذي صاحب اليقظة الجزائرية منذ بداية القرن العشرين ،وقد مهد له وساعد على تطوره نشر العديد من كتب التراث من طرف بعض العلماء في مقدمتهم الأستاذ محمد بن أبي شنب والشيخ الحفناوي ، والشيخ نور الدين عبد القادر.

وقد واكب التأليف التاريخي المتعلق بالجزائر العثمانية بأفلام جزائرية وبلغة عربية ،تبلور الحركة الوطنية الجزائرية منذ بداية الثلاثينيات فنشر العالم المصلح الشيخ مبارك الميلي كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث في مجلدين(1931-1929) وتتابعت مصنفات الأستاذ الشيخ احمد توفيق المدني ومنها كتاب الجزائر (1932) ومحمد عثمان باشا داي الجزائر (1938)وحرب ثلاثمائة سنة بين اسبانيا والجزائر من (1492-1792)وغيرها كما أن الأستاذ الشيخ الفقيه عبد الرحمان الجيلالي عميد مؤرخي هذه المدرسة نشر في فترة متأخرة جزأين من تاريخ الجزائر العام (1954-1955) قبل أن يستكمله أخيرا في أربع مجلدات.

ورغم ما قد يؤخذ اليوم على هذه المدرسة التاريخية من كونها كانت تعتمد في أسلوبها على العطفة ولا تتقيد بطرق البحث المنهجي إلا أنها لا تخلو في الواقع من قيمة تاريخية ووزن علمي ويكفيها أنها كانت المعبر الأمين عن موقف الجزائريين من تاريخهم واعتزازهم بأمجادهم وبطولاتهم فظلا عن كونها وسيلة إعلامية لمجابهة الأطروحات الاستعمارية والأحكام العنصرية[1].

2-إنتاج المدرسة التاريخية الحديثة:

بدأ إنتاج هذه المدرسة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وأصبحت تساهم بقسط وافر من الإنتاج التاريخي المتعلق بالجزائر العثمانية بعد استقلال الجزائر وتخرج العديد من الجزائريين من مختلف الجامعات واضطلاعهم بالتدريس ومشاركتهم في التأليف.

ومع تزايد عدد الخرجين الجزائريين من مختلف الجامعات بدأت المساهمة الجزائرية في نطاق هذه المدرسة التي تدعو إلى الحياد وترفع شعار الموضوعية تظهر في شكل كتب وبحوث باللغتين الوطنية والفرنسية ،وقد كان إنتاج هذه المدرسة يعبر عن تبدل الأوضاع السياسية والاجتماعية بالجزائر وهذا ما جعل هذه المدرسة الحديثة تقتصر على عرض الأحداث وتفسيرها.

[1]- نصرالدين سعيدوني، المرجع السابق ، ص 37 . 39

على ضوء ما توفره المادة التاريخية وتحاول ما أمكنها ذلك اتخاذ موقف حيادي من قضايا التاريخ بحجة مقتضيات البحث العلمي النزيه ومتطلبات الموضوعية التاريخية ،ومع أن هذه المدرسة نجحت إلى حد ما في سد الفراغات وملء النجوات التي ظل يشكو منها التاريخ الجزائري في مختلف عصوره كما استطاعت من خلال بعض التأليف الأكاديمية مواكبة الدراسات التاريخية بالغرب الأوربي إلا أنها لم توفق في نظرنا في تكوين مفهوم متكامل للتاريخ الجزائري يحول دون الاستلاب الثقافي ويكون حاجزا أمام تأثير الإيديولوجيات الأجنبية[1] .

وفي ختام هذا العرض يتضح لنا أن المناهج الجامعية والإنتاج التاريخي كلاهما يتحكم إلى حد بعيد في إعادة تقييم العلاقات العربية–التركية الذي يخص ماضي الجزائر العثمانية وبالتالي يصبح من الضروري في إطار تدعيم العلاقات التاريخية بين الشعوب العربية والتركية تطوير البرامج الدراسية والمناهج الجامعية وتجاوز الإنتاج التاريخي المتوفر باختلاف أصنافه وتباين مدارسه حتى تصبح تلك المناهج منطلقا صحيحا لتطوير هذه العلاقات التاريخية، ويغدو الإنتاج التاريخي المنشود انعكاسا صادقا للتكامل الحضاري بين الأمتين العربية والتركية.

[1] –نصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق، ص.85 .86.

الفصل الاول

الجانب السياسي

المبحث الأول :نظام الحكم

المبحث الثاني :الثورات والتمردات

المبحث الثالث :العلاقات المعاهدات الدولية

تمهيد :

أصبحت الجزائر تحت حكم الدولة العثمانية ومن ضمن ولاياتها حيث اكتسبت بذلك نوعا من الحماية الذي ابعد عنها الكثير من الأخطار خاصة الخطر الاسباني ويعتبر عهد الأتراك العثمانيين عهد الأمجاد والبطولات العسكرية والانتصارات السياسية المرتبطة بها ، ويتجلى ذلك واضحا في تعرض البلاد لمحاولات الصليبين ، ونتطرق في فصلنا هذا إلى مجموعة من المباحث من أهمها نظام الحكم والعلاقات الدولية أيضا المعاهدات والاتفاقيات بالإضافة إلى المتمردات والثورات.

نظام الحكم:

إذا ما تكلمنا عن نظام الحكم في الجزائر خلال العهد العثماني نجد اختلافات وأراء حول هذا ومن بينهم نجد الدكتور يحي بوعزيز تكلم عن هذا في كتابه " الموجز في تاريخ الجزائر" في جزئه الثاني من القسم الثالث الجزائر الحديثة ، حيث ذكر أن الحكم التركي في الجزائر ينقسم إلى أربعة عهود وأدوار هي :

1- عصر البايلربايات 1518 إلى 1587

2- عصر الباشوات 1587 إلى 1659

3- عصر الأغوات 1659 إلى 1671

4- عصر الدايات 1671 إلى 1830 [1]

[1] - يحى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2 دار البصائر الجزائر 2009 .ص16

حيث ذكر يحي بوعزيز أن خير الدين بعد أن عين بايلرباي على الجزائر . العصمة وما حولها احتفظ بها لنفسه ،وعين على الجزائر الشرقية والغربية عمالا من قبله وبقي الأمر هكذا إلى عهد البايلرباي حسن بن خير الدين الذي أعاد تنظيمه إداريا وقسمها إلى أربع بايلكات أو عمالات .

1- بايلك الجزائر أو دار السلطان

2- بايلك الشرق ومركزه قسنطينة

3- بايلك الغرب مركزه مازونة ومعسكر ثم وهران

4- بايلك التيطري ومركزه المدية وبقي هذا التنظيم إلى غاية نهاية العهد التركي[1].

وتكلم أيضا عن الميدان العسكري بحيث عرفت الجزائر نظاما جديدا ويتمثل في القوات التركية الوافدة إليها مع الفتح التركي وهي نوعان:

أ- طائفة الرياس التي تتكون من الجنود البحارة وهي الطائفة التي كانت تمد البلاد بالولاة.

ب-طائفة الجنود المشاة الانكشاريين الذين بعث بهم السلطان العثماني إلى خير الدين أثناء تعيينه بايلرباي وكانت هناك خصومات بين الطائفتين أما الجزائريون فلم يسمح لهم في الدخول إلى الجيش خوفا من تمردهم على السلطة[2].

وبعد هذا تكلم بوعزيز عن عهد الباشوات (1587-1659) ومن أسباب تغير النظام هي رغبة الدولة العثمانية في السيطرة على البلاد ومنع التمرد ضدها ولكن الأمور صارت في غير هذا الاتجاه فبدأ ديوان الأوجاق يتقوى وعمل على التخلص من الهيمنة العثمانية، فشجع الباشا خضر طائفة الرياس على الغزو البحري ووضع حد لامتيازات التجار الفرنسيين في ساحل القالة وعنابة واسر ما فيه من الأشخاص المشبوه في أمرهم وبذلك عارض أوامر السلطان وتعليماته التي حملها المبعوث الأغا مصطفى الفايجي.

وقد تميز هذا العهد بعدة أحداث داخلية وخارجية والخارجية تمثلت في بداية الصراع مع الدولة العثمانية والجهاد ضد القراصنة الأوربيين خاصة فرنسا ، أما داخليا في الصراع ضد إمارة قلعة بني عباس والثورات الداخلية في الشرق والجنوب والصراع بين القوات العسكرية الانكشارية البحرية ورياس البحر[3].

[1]- يحى بوعزيز ، المرجع السابق .ص 17

[2]- المرجع نفسه .ص20

[3]-يحى بوعزيز، المرجع السابق ص .33. 35

أما عن عهد الأغوات (1659-1671) فذكر يحي بوعزيز خصائص هذا النظام والتي تمثلت في الثورة التي كانت ضد الباشا إبراهيم وتزعمها رياس البحر من جهة والانكشاريين من جهة أخرى فالرياس ثاروا ضده بسبب قيام الباشا إبراهيم بحرمانهم من المبالغ المالية التي خصصها لهم الباب العالي والتي دفعها كرشاوى لرجالات الدولة في القسطنطينية حتى يبقوه في منصبه وأما الانكشاريين فكانوا يحاولون اغتنام الفرص للاستيلاء على الحكم فوجدوا هذا فرصة فقاموا بانقلاب مفاجئ على الرياس وقصر على سلطة الباشا إبراهيم ، ويقول بوعزيز أن هذا النظام كان من بدايته يحمل بوادر الضعف والانحلال فتولية الأغا لمدة شهرين ثم عزله لا يساعد على الاستقرار بحيث أن أغوات هذا العهد كانوا يموتون موتة غير طبيعية بالاغتيال والقتل ، أما عن الأوضاع خارجيا فحاول ديوان الأوجاق ان تحسن علاقاته مع فرنسا ولكنها أعرضت عن ذلك وواصل القراصنة الفرنسيون اعتداءاتهم على السفن الجزائرية وتوترت العلاقات بين البلدين[1] .

وأخيرا عهد الدايات(1671-1830)ويقول الأستاذ بوعزيز أن الهجمات المتوالية التي شنها الأوربيون على الجزائر أواخر العهد السابق أثر على الوضع الداخلي لجزائر وعلى السلطة نفسها بحيث فقدت البلاد الكثير من السفن التجارية وتأثرت طائفة رياس البحر بصفة خاصة ولقد بدأت الحادثة باغتيال علي أغا إذا تحولت إلى انقلاب في أسس السلطة العليا وألغي نظام الأغوية وتعويضه بنظام آخر أكثر استقرارا يتمثل في تعيين الداي في منصب الوالي طوال حياته ولا يكون له الحق في تعيين من يخلفه وهكذا استطاع الدايات أن يكونوا لأنفسهم سلطة واسعة ويحدوا من سلطة الديوان ،وقد أبقى الدايات على منصب الباشاوية مدة من الزمن ولكن سرعان ما قاوم الدايات هذه الازدواجية وأصبح الداي نفسه الباشا واستطاع الداي أن يحقق للجزائر استقلالها الحقيقي عن الدولة العثمانية بالرغم ما كان يمثله عهد الدايات من القوة في المجال الخارجي إلا أن الأوضاع الداخلية لم تكن على ما يرام ومن بينها تحكم الطبقة العسكرية واحتكارها للسلطة وقد أنجز عن هذا الفتن بين الأهالي خاصة سكان العاصمة .

اضافة إلى هذا محاولات الدولة العثمانية في التدخل في شؤون الجزائر من أجل استرجاع سلطتها وكثرة الغارات الأوربية على السواحل الجزائر وشعور السكان بعدم الأمن وإرهاقهم بالضرائب والغرامات دون مراعاة مداخيلهم ،مما جعلهم يدخلون في حالة تمرد وعصيان ضد السلطة المركزية ،

[1]-يحي بوعزيز، المرجع السابق ص .42 .43

ومما زاد في مصاعب الجزائر الداخلية في هذه الفترة حدوث زلازل مخربة وحدوث أوبئة وحدوث قحط وجفاف أدى إلى موت ألاف الجزائريين ونتج عن ذلك انتشار الغضب على المستوى الشعبي[1] .

وقد ذكر ناصر الدين سعيدوني في كتابه تاريخ الجزائر في العهد العثماني في فصله الأول أن نظام الحكم الذي عرفته البلاد الجزائرية أثناء العهد العثماني يتعاقب عدة أنظمة سياسية في فترات تاريخية محددة وهي فترة الباي لرباي (1518-1588)التي بدأت باستقرار الحكم التركي بفضل جهود خير الدين وعروج بربروس وانتهت بتنحي علج علي من السلطة وفترة حكم الباشوات (1588-1659)الذي حددت مدة حكمهم بثلاث سنوات وفترة حكم الأغوات القصيرة (1659-1671)والتي عرفت فيها الجزائر اضطرابا في نظام الحكم وفوضى في شؤون الإدارة أما المرحلة الأخيرة فهي فترة حكم الدايات الطويلة التي استمرت دون انقطاع (1671-1830) والتي تمنعت فيها الاستقلال عن الدولة العثمانية وقد تميزت الجزائر في هذه الأخيرة عن باقي أقاليم الإمبراطورية العثمانية بكيانها المتميز بإدارة منتظمة وعاصمة وقارة وحدود معترف بها بحيث أصبحت الدولة مكتملة السيادة لها كامل الصلاحيات في إقرار المعاهدات مع الدول الأوربية دون الرجوع إلى الباب العالي فازدهر الغزو البحري وتكاثر الغنائم مكن حكام الجزائر آنذاك الباي لرباي من تدعيم حكمهم وسمح لهم التدخل في شؤون الأقطار المجاورة وهذا النفوذ المتزايد لهؤلاء الحكام الذين كانوا رياس البحر أكثر من كونهم رجال حكم هو الذي دفع الدولة العثمانية الى تعويضهم بالباشوات خاصة بعد أن خف الصراع الاسباني العثماني في حوض البحر الأبيض المتوسط كما أن حكم الباشوات وما أحدثه من عدم استقرار ومحاولة الكثير منهم استنزاف خيرات البلاد والاستحواذ على عوائد الغزو البحري ولم على حساب الأوجاق وجماعة الرياس سمح لقادة الجيش "الأغوات" أن يتولوا شؤون الحكم و أن ينتهجوا سياسة مستقلة عن الدولة العثمانية ،لأنهم لم يستطيعوا التخلص من منافسيهم ،وبعد ذلك أصبح نظام الحكم أشبه بجمهورية عسكرية يتولى تسيير شؤونها حاكم منتخب هو الداي الذي له مطلق الصلاحية في التصرف في شؤون الإيالة وقد كن اختيار الداي في أول الأمر(1671-1689) تتم من بين صفوف الرياس ولكن بعد تناقصت ثرواتهم وقلَ نفوذهم أثر ضعف نشاط القرصنة أصبح الداي يختاره الديوان من بين قادة الأوجاق حتى نهاية العهد العثماني(1689-1830)[2] .

[1]-يحى بوعزيز، المرجع السابق ص ص.46 . 50

[2]-ناصر الدين سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط2 البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر 2013 ،ص 107 .109

وذكر ناصر الدين سعيدوني بأن الفترة الأخيرة من حكم الدايات ضعفت روابط الجزائر بالسلطة العثمانية واقتصرت على تقديم فروض الطاعة للسلطان وتبادل الهدايا وإرسال الإعانات وجلب المتطوعين الأتراك للعمل في القرى والأرياف وهذا ما جعل العلاقة بين الجزائر واسطنبول لا تتعدى في حقيقة الأمر المصلحة المشتركة في وقت أصبحت فيه الدول الأوربية تتعامل مع الجزائر على اعتبارها كيانا سياسيا مستقلا على الباب العالي ،وبذلك أصبح دايات الجزائر يجمعون بين المنصب التنفيذي "الداي" واللقب الشرفي "الباشا" ويستحوذون على المهام التنفيذية لجهاز الحكم بالجزائر[1].

كما نجد حمدان خوجة في كتابه المرآة ذكر أن الجزائريين اختاروا مبادئ الحكم الجمهوري ورئيس الجمهورية هو الداي أيضا ذكر حمدان خوجة أن الحكم في الجزائر ليس وراثيا[2] .

وفي نفس السياق يذكر عمار بوحوش في كتابه التاريخ السياسي للجزائر بحيث أشار ان الجزائر كانت في المرحلة الأولى من الحكم التركي كانت الطبقة الحاكمة بالجزائر هي فئة رياس الذين اختاروا البحر ميدانا لحياتهم ومصدرا لرزقهم أما الفئة الثانية التي سيطرت على الجزائر لمدة طويلة هي فرقة البولداش المتكونة من الجيش البري ومنهم تتشكل فرق الانكشارية، وباختصار فإن مراحل الحكم العثماني بالجزائر قد مرت بأربع مراحل مختلفة وتتمثل في عصر البايلربايات 1514-1587 عصر البشوات 1587-1659 عصر الأغوات 1659-1671 عصر الدايات 1671-1830[3].

***عصر البايلربايات:**

أمير الأمراء 1514-1587 يمثل هذا العصر أزهى عصر الحكم التركي في الجزائر، وقد تميزت هذه الفترة بحيث دام العهد مدة سبعين 70سنة ويأتي قرار تعيين الحاكم في الجزائر من طرف السلطان العثماني وقد كانت السلطة في يد رياس البحر ، تحرير برج الفنار عام 1529 م من الإسبان وتحرير بجاية من الاحتلال الاسباني 1555 م وإنهاء الوجود الاسباني في تونس 1574 بحيث امتازت الحياة السياسية فيها بالاستقرار و تحالف ضد العدو الاسباني .

***عصر الباشوات (1587-1659):**

أصبح السلطان العثماني في هذه الفترة يقوم بتعيين الباشا لمدة ثلاث 3 سنوات ويقوم بإرساله من تركيا ويستدعيه بعد انتهاء فترة تعيينه وقد كان الباشوات في مدة حكمهم ينصرفون إلى السلب

[1]-ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 109. 110

[2]-حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ،تقديم د.محمد العربي الزبيري ، طبع المؤسسة الوطنية الجزائر 2008 . ص.89

[3]-عمار بوحوش ، التاريخ السياسي الجزائر من البداية لغاية 1962 ، ط1 دار الغرب الاسلامي بيروت 1997 ،ص 56

والنهب وجمع الثروة قبل عودته إلى قسنطينة وهذا ما دفع البولداش أن يثوروا ويضعفوا نظام الحكم في الجزائر وقد تميزت هذه الفترة بما يلي:

ـ تعيين باشا تركي في كل من الجزائر تونس طرابلس بعد أن كان هناك حاكم واحد للمنطقة يوجد مقر حكمه بالجزائر، بالإضافة إلى الخلاف بين جنوب البحرية الجزائرية وجنود البحرية العثمانية كما يذكر عمار بوحوش بأن في هذه الفترة حصل تنافر بين جنود البحرية والقوات البرية وهذا الصراع الذي أدى إلى إضعاف الدولة الجزائرية .

*** عصر الأغوات (1659–1671):**

ويذكر عمار بوحوش بأن هذا العصر من أهم العهود وذاك نظرا لأقدم قادة الجيش البري البولداش على خلع الباشا وتعويض هذا القائد بقائد آخر من فئتهم وكانت النتيجة هي انتشار الفوضى وانعدام الأمن واستياء تركيا من انفصال حكام الجزائر عنها وقطع كل المساعدات عنهم ، وقد تميز هذا العهد باضمحلال نفوذ السلطان العثماني وغياب السيادة العثمانية في الجزائر بالإضافة إلى الصراعات المحلية وتذمر أبناء الشعب من الفساد السياسي وانتشار الفوضى في البلاد بالإضافة إلى نجاح البولداش في قلب نظام الحكم والانفصال عن العثمانيين والحد من سلطة الرياس ولكنهم فشلوا في إنشاء نظام سياسي ديمقراطي ناجح[1] .

***عصر الدايات (1671–1830):**

يعتبر عمار بوحوش عصر الدايات هو عصر القوة العسكرية والحاكم هو الذي يختار وزراءه بحرية ويتشكل مجلس الدولة بأسلوبه الخاص، وقد كان ازدياد نفوذ الديات التي تخدم أبناء الجزائر الأصليين ولم يستجيب لمطالبهم وقد توجهت القوات العسكرية والسياسية لخدمة مصالحها وبالتالي فإن العناصر الجزائرية الأصل بقيت على الهامش ولم تكن بها مشاركة حقيقية لقيادة البلاد ،وقد تميز عهد الدايات يتحول جنود البحرية من جنود مناضلين ومقاتلين ضد القوات المسيحية المناهضة للإسلام إلى رجال يبحثون عن الغنائم لأنفسهم ونتيجة لاعتماد الحكام على الحروب والصراعات الداخلية بين فئات الجيش في نفي العديد من الحكام مصرعهم على يد المجموعات المعادية لهم بحيث أصبحت اغتيال المسئولين عملية عادية[2]

[1]–عمار بوحوش ، المرجع السابق ، ص 58

[2]–عمار بوحوش ، المرجع نفسه ، ص60 .62

أيضا نجد محمد العربي الزبيري في كتابه التجارة الخارجية للشرق الجزائري تكلم عن نظام الحكم السائد آنذاك في الإيالة كانت تحكم بنظام من نوع خاص لم يعرف في أي بلد آخر وأهم ميزاته انه كان يجمع بين الصبغة المدنية والعسكرية[1] وانه كان حكما اجتماعيا شوريا في القمة وفرديا مطلقا في القاعدة[2] .

***الثورات و التمردات:**

إذا ما تحدثنا عن الثورات و التمردات نتطرق أولا إلى ما ذكره الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجائر الثقافي في الفصل الثاني حيث قال من هذه الثورات ما كان قصير المدى محدود المكان وما كان طويل المدى واسع المجال ، والواقع أن رد فعل ضد العثمانيين قد بدأ منذ اللحظة الأولى ، وأولهم جاءت من أصحاب المصالح السياسية والاقتصادية في البلاد الذين يقومون بدفع الضريبة للحكومة المركزية ويعترفون بالتبعية للسلطان العثماني وكانت علامة التمرد لامتناع عن دفع الضريبة ، ويذكر أبو القاسم سعد الله مجموعة من الثورات والتمردات وأولها محاولة سليم التو مي استعادة نفوذه على مدينة الجزائر مما أدى إلى مقتله على يد عروج بربروس وثورة ابن القاضي أمير إمارة كوكو وكذلك سخط أمراء قسنطينة على يد العثمانيين كأولاد صولة. ومع تقدم العهد بدأت تظهر تمردات وثورات جديدة أيضا كثورة صحال التي رواها ابن مريم وبذلك بداية تعبير عن روح وطنية ضد العثمانيين.

كما ذكر أبو القاسم سعد الله الثورة التي حدثت في زواوة خلال القرن 12 هو كان سببها فرض ضرائب جديدة على أهلها ففي سنة 1158م خرج أهل زواوة ضد القائد العثماني محمد الفريرا المشهور بالذباح وتمكنوا من قتل قائد الحامية العثمانية في سبوا وهو محمد الذباح وقد استمرت الثورة مدة سنة وأرجعت السلطان العثمانية وبذلك وضع حد لهذه الثورة الخطيرة علة الوجود العثماني، وأما من الثورات غير الدينية ضد العثمانيين ثورة الكراغلة وثورة تلمسان في القرن 11هـ إلا أن هذه الثورة لم تثمر لأن الحكام قد اكتشفوها قبل نضجها وكانت تمثل محاولة الاستيلاء على السلطة وقد جعلت العثمانيين يزدادون حذرا من فئة الكرا غلة . ويذكر أبو القاسم سعد الله أن أكبر ثورة حدثت في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني هي ثورة أحمد الصخري والتي تسببت في سقوط عدد من

[1]-الصبغة المدنية: تتجلى في أن الداي كان دائما يلجأ الى العلماء لحل المشاكل العويصة ولا يستطيع مخالفتهم في شيء .أما الصبغة العسكرية فتتمثل في الديوان الذي يعين الداي او يعزله و الذي كان يتكون من غالبية عسكرية .

[2]-محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشكرة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1972 ، ص19

الباشوات ورغم أن وثائق هذه الثورة مازالت نادرة فانه يمكن القول أنها آنت من الثورات القبلية الاقتصادية[1] .

ويقول سعد الله أن هناك من الثورات ذات طابع ديني وأهمها ثورة يحي الاوراسي في القرن العاشر في جبال الأوراس و كان يحي الاوراسي رجلا عالما ومدرسا في قسنطينة وقد جرت حروب بينه وبين العثمانيين انتهت بفشلهم من إلقاء القبض عليه ولكن الموت جاءه عذرا بعد أن فشلوا في قتله في الميدان وقد استمرت ثورته على يد أخيه احمد.

ويقول سعد الله بأن الفكون أيضا قد أشار إلى اضطرابات أخرى وقعت في قسنطينة في عهد صالح باي الذي لم يخل عهده من الثورات خاصة التي قادها المرابطين أولهما احمد الزواوي والثاني محمد الغراب ، ومن الثورات الدينية أيضا ثورة درقاوة أو ثورة أتباع الشيخ محمد العربي الدرقاوي في الجزائر وكان مقدم طريقته في وهران ونواحيها هو الشيخ عبد القادر بن الشريف وكان باي وهران محمد المقلش يستعد للقضاء عليه فقد كان الشريف أداة لتنفيذ خطة سياسية ضد النظام العثماني وقد جدد لها العثمانيون قوتهم بعد أن أدركوا غايتها السياسية ودارت على معارك كثيرة استمرت المناوشات و كثر أتباع الدرقاويين واستعمل العثمانيون وسائل غير عسكرية كمصاهرة خصومهم وعانى من الثورة الناس الذين وقعوا بين نارين السلطة والدين كالعالم الحافظ أبي الراس الناصر ،ولم تنته الثورة إلا بعد إجراء اتصالات سياسية بين الجزائر والمغرب على المستوى الرسمي[2] .

وأما عن ثورة ابن الأحرش فيقول سعد الله أنها هي أيضا قوية وكادت أن تقلب الأوضاع في الشرق الجزائري ضد العثمانيين وقد تعاون ابن الأحرش مع الدرقاويين في الغرب و يهم هنا التحالف الذي بين ابن الأحرش والمرابط عبد الله الزيوشي مقدم الطريقة الرحمانية الذي كان ساخطا على عثمان باي حاكم قسنطينة والذي أرسل يرأس الباي إلى خليفة ابن الأحرش ، وسببها أن الباي سمع بتحالفه مع ابن الأحرش فسحب منه الإعفاء من دفع الضريبة وهكذا استمر الزيوشي على قيد الحياة ست سنوات بعد وفاة الباي إلى أن وافاه اجله سنة 1225هـ في رجاس ،كما ضيق العثمانيون الخناق بعد ثورة درقاوة على زعماء الطرق الصوفية ، ومن بينهم ابن القندوز التوجيني الذي قتل في مازونة واحمد التجاني الذي رحل إلى المغرب ،وفي رأي سعد الله أن أقسي ثورة واجهها العثمانيون في الجزائر التي وقعت سنة 1246هـ وقد طمع الحضر في الحكم بعدهم ومدوا أيديهم إلى الفرنسيين

[1]-ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 عالم المعرفة ،الجزائر 2011 ،ص ص 209 .219

[2]-ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص 120

لمساعدتهم لاستلام السلطة من العثمانيين وخرج البعض ينتقد تصرفاتهم كأحمد بوضربة وحمدان خوجة ورفض محي الدين والد الأمير عبد القادر رئيس الطريقة القادرية وشيخ الطريقة التجانية أن يمد يد المساعدة إلى الباي حسن في وهران كما ادعى الأمير عيد القادر انه الوريث الشرعي للنظام العثماني ،وكان اعتماد الشعب الجزائري على نفسه اكبر درس للعثمانيين الذين خرجوا من الجزائر غير مألوف عليهم من قبل أغلب السكان[1] .

أمّا ما سجله ناصر الدين سعيدوني على الثورات و التمردات في كتابه ورقات جزائرية في القسم الثاني من الكتاب نجده قد ركز على ثورة ابن الأحرش وتكلم على شخصية ومراحل حياته بحيث قسم حياة ابن الأحرش إلى ثلاث مراحل الأولى انتقل اثناءها إلى المشرق لأداء فريضة الحج والثانية تزعم خلالها الثورة بالشمال القسنطيني ضد حكم البايات والثالثة انتهت باختفائه وموته بعد تعرضه لمتابعة الحكام و معاداة زعماء العشائر الكبرى المتعاملة مع البايلك ويهم في المرحلة الثانية والثالثة من حياته ،وقد بدأ ابن الأحرش يخطط لإعلان الثورة على سلطة البايلك فجمع الأنصار وأعلن الجهاد للقضاء على سلطة البايلك سنة 1804 م حيث توجه لاستيلاء على مركز البايلك قسنطينة وقد خرج للتصدي له قائد الدار الحاج أحمد بن الأبيض فوقعت مناوشات حادة وكاد ابن الأحرش أن يقتحم المدينة لولا حدوث الفوضى وسارع الكثير منهم إلى النهب وفي هذه الظروف بادر سكان المدينة وفي مقدمتهم ابن الأبيض والشيخ محمد سيدي الفكون بإطلاق المدافع فتراجع الكثير منهم و خفضوا من ضغطهم على المدينة وهذا ما سمح لابن الأبيض بأن يخرج لمقاتلتهم ،واستطاع المدافعون أن يبعدوا الخطر على مدينتهم وأن يلحقوا خسائر كبيرة بجيش ابن الأحرش وتراجع ابن الأحرش بعد أن أصيب بجرح خطير في ساقه أو يده وانتهى خبر الهجوم على قسنطينة إلى الباي عصمان الذي سارع في تنظيم الدفع عنها وملاحقة ابن الأحرش وجرت معارك عنيفة بين الطرفين وانتهت بهزيمة الباي عصمان فتكاد تتفق حولها اغلب المصادر وملخصها أن الباي عصمان لما تيقن من فشل خطته في القضاء على ابن الأحرش فحاول فك الحصار والتراجع إلى ناحية المليلة وهناك اغتنم الز يوشي الفرصة الذي كان يحقد على الباي الذي جز رأسه وبقيت جثته ملقاة في العراء مع كثير من أفراد جيشه وثم نقلت جثته وأقيم له قبره[2].

[1]-سعد الله ، المرجع السابق ،ص ص 219 . 244

[2]-ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، المرجع السابق، ص ص 274 . 280

وبعد هذه المرحلة يذكر ناصر الناصر الدين سعيدوني المرحلة الثالثة والأخيرة من حياة ابن الأحرش والتي تبدأ بتعرض ابن الأحرش إلى مطاردة فرق الانكشارية له والتي بدأها الداي مصطفى باشا والخروج بنفسه لتتبع الثائرين عندما بلغته أنباء مقتل الباي إلا أن مستشاريه حاولوا إقناعه لتهدئة الجهات بإرسال الحاج علي في الجهة الشرقية للبلاد وقد تمكن الباي عبد الله من تبديد جموع ابن الأحرش من جديد بنواحي بجاية على يد فرق البو لداش وأعوان المقراني وبعد عشرة أشهر من الجهود الحربية والتنقل الدائم للجيش الانكشاري عبر بايلك الشرق تمكن الحاج علي أغا و الباي عبد الله من وضع حد نهائي لثورة ابن الأحرش بالشرق الجزائري[1] .

وبذكر ناصر الدين سعيدوني بأن ابن الأحرش بعد انهزامه التحق بدرقاوة بالغرب الجزائري التي أعلنت الثورة على البايلك بزعامة ابن الشريف عبد القادر الدرقاوي الذي خاض معه عدة معارك كمعركة خديوية ومعركة يوم ابن الأحرش وبعدها يختفي أمره ولا يرد ذكره ويذكر صاحب "تحفة الزائر" أنه قتل غيلة على يد ابن الشريف الدرقاوي الذي رأى فيه منافسا خطيرا وناصر الدين سعيدوني لا يستبعد الخبر ولاسيما أن ابن الشريف كان خليفة لابن الأحرش.

وتحدث ناصر الدين سعيدوني عن صلة ابن الأحرش بدعوة درقاوة واعتبره ناصر الدين سعيدوني أنه كان ثائرا على السلطة محرضا على العصيان أكثر من كونه داعية للطريقة الدرقاوية ومتحمسا لكسب الأنصار لها وأن ادعائه النسب الشريف كان وسيلة لإثبات توليه الأمور وتحقيق أهدافه ،وهذا ما دفع بكثير من الكتاب إلى التحامل عليه أما ناصر الدين سعيدوني فيرى أن الأساليب التي استخدمها ابن الأحرش من الحيل العامة بصدق دعوته ونجاح حركته ما ينقص من قيمة ابن الأحرش مادامت تتماشى ومستوى مدارك أهالي الريف آنذاك ، وبذلك تبقى ثورة ابن الأحرش ملحمة شعبية تناقلتها الأجيال وتحاول الاقتداء بها في التصدي للاستعمار الفرنسي ومقاومة مشاريعه الاستيطانية وقد كانت ثورة ابن الأحرش تجربة في رفض الظلم وأن القوة الحقيقية للجزائر تمكن في الريف وتتمثل في التجنيد المستند إلى الوازع الديني الذي كانت تمثله الزوايا والطرق الدينية فهو وحده المحرك للأحداث و المعدل لسير التاريخ الجزائري[2].

وقد ذكر الدكتور عميراوي أحميدة في كتابه قضايا في تاريخ الجزائر الحديث في الفصل الثاني والذي خصصه عن الثورات و التمردات التي شهدها العثمانيون من الجزائريين بحيث كانت أطراف

[1]- المرجع نفسه ، ص 280 . 282

[2]- ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، المرجع السابق، ص 298

جزائرية كثيرة معارضة للنظام العثماني منذ بداية وجوده في الجزائر سواء في المدينة أو الريف ومن هذه الأطراف كان بعض العلماء والذين نقموا على بعض الحكام وكانت أيضا بعض الأسر والقبائل وكذلك بعض رجال الطرق الصوفية ولهذا لا يستغرب في وجود ثورات مسلحة ضد رجال الحكم العثماني في غرب ووسط وشرق البلاد ويمكن ذكرها في المختصر الآتي[1]:

- ثورة سليم التو مي الذي قتله عروج بربروس .
- ثورة الزيانيين في تلمسان وقتلهم عروج بربروس .
- ثورة ابن القاضي أمير إمارة كوكو .
- ثورة قبيلة السويد بمدينة التنس .
- ثورة الزواوة ضد القائد العثماني المشهور بالذباح عام1158 هـ في البويرة .
- ثورة الكراغلة في الجزائر العاصمة 1634م .
- ثورة تلمسان 1035و1037 ،ثورة أحمد الصخري عام 1047 الذي له نفوذ كير امتد من منطقة الزاب إلى تونس خاصة ضد باي قسنطينة بقيادة قبيلة الزواوة و الحشاشنة ، وفي هذه الثورة اشتهرت البطلة علجية بنت بوعزيز بوعكاز بموقفها حين قادت جموع القوم إلى النصر بعد فشلهم وتخاذلهم .
- ثورة يحي الاوراسي وهو عالم شريعة وحقيقة.
- ثورة درقاوة 1810 بقيادة الشيخ محمد العربي الدرقاوي .
- ثورة درقاوة في الشرق بقيادة ابن الأحراش ، ومن غير المستبعد أن يكون للمغرب الأقصى دور كبير في هذه الثورة .
- ثورة الزبوشي الرحماني في رجاس (ميلة) الذي قتل عثمان باي عام 1804 .

وكان لثورة درقاوة مؤازرة الطريقة الرحمانية أثر سيء على النظام العثماني ، كل هذه الثورات والمواقف أثرت على الرأي العام عام 1830 ولم يكونوا صفا واحدا بجانب العثمانيين في موجهاتهم للفرنسيين حين غزو الجزائر العاصمة .

وقد نتج عن هذا التذمر من أطراف كثيرة قطيعة سوسيولوجية بين النظام العثماني وبعض التشكيلات الاجتماعية الجزائرية[2] .

[1]- عميراوي أحميدة ، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث ،دار الهدى الجزائر 2005 ، ص 78

[2]- عميراوي أحميدة ، المرجع نفسه ،ص 78 .79

كما نجد ابن المفتي الحسين بن رجب شاوش في كتابه تقييدات ابن المفتي في تاريخ بشوات الجزائر حيث تحدث عن الفتن بمدينة الجزائر في القسم الثاني من الكتاب(قسم البشوات) وذكر بأن أول فتنة كانت فتنة الحمايمي[1] التي وقعت بالجزائر سنة 1586م بتأييد عدد كبير من العصاة الذين اعتدوا على دور الرياس الذين يبغضونهم وعلى دور أولئك الذين كانت لهم رتبة عالية في الإمارة وحكم المدينة سواء كانوا من الديوان أم لا ويذكر ابن المفتي بأن الأمر قد بلغ حد الاقتتال بحيث أن الفتن شكلت فريقين وتتبع المتصلون خصومهم حتى تراجعاهم المستترة .

ويقول ابن المفتي أنه قد حصل من جدته على الرواية التالية "فاجئونا في دارنا الكائنة بحي الصباغ قرب سيدي علي الفاسي وكشفوا أحد أعدائهم وكان مختبئا تحت مرتبة الصوف دون أن نتمكن من أن نلمحه فأخرجوه وأرادوا ذبحه في مكانه فرجوناه أن لا يفعل شيئا لأننا خشينا أن تنقلب علينا الأمور إلى الأسوأ فجروه في الحي وذبحوه" وكانت هذه الفتنة الأخيرة التي جرت في زمن البلوكباشيين[2] فتنة جسيمة وشهدت الجدة فتنة أخرى من نفس النوع .

ووقعت فتن أخرى سنة 1591م ، ثم في بسكرة سنة 1595 م وآخرها التي تعرف بالقلاعجي التي وقعت في دار الإمارة سنة1597 م والمقصود بهذه الأخيرة تمرد خضر باشا الذي اتهمه المليشيا باختلاس أموال الخزينة ورأى خضر باشا أن أحسن طريقة للتخلص منها هي تسليح مدينة الجزائر فتح باب الثورة أمامهم ضد المليشيا وهكذا لم يتردد سكان المدينة وخصوصا الكراغلة عندما سلحهم خضر باشا في إعلان الحرب وحدثت مجازر رهيبة في شوارع المدينة وفي ظل الرغبة من الانتقام من الميليشيا، وتحقق نوع من التحالف بين سكان المناطق الداخلية والكراغلة الذين ينتمون إلى مدينة الجزائر[3].

[1]- الحمايمي: هو الشخص المسؤول عن الحمام .

[2]- البلوكباشيين : جمع بلوك باشي المقصود بها فترة حكم الباشوات

[3]- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ الجزائر وعلمائها ، ت ح فارس كعوال ، ط1 بيت الحكمة الجزائر 2009 ، ص83 . 84

***المبحث الثاني : العلاقات الدولية الجزائرية والمعاهدات :**

يقول مولود قاسم نايت بلقاسم في كتابه شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 جزئه الاول في الكتاب حيث يبين أن العلاقات الجزائرية خلال العهد العثماني مع الخلافة العثمانية والدول الأوربية والدول العربية و الولايات المتحدة الامريكية منسجمة في العديد من معاهدات السلم والتعاون حينا وفي المؤامرات والمنورات والتكتلات بل والغارات والحروب في أغلب الاحيان ومن خلال ذلك كله يوضح الدكتور ثابت بلقاسم بعض مظاهر دور الجزائر الدولي و اشعاعها العالمي وهيبتها التي كان يحسب لها حسبان ولكن أيضا بعض نقط الضعف التي كانت سندا غير مقصود للأحقاد الاوربية الصليبية وللأطماع الفرنسية والتي انتهت الى الغزو الفر نسي واحتلال عاصمها يوم 05 جويلية 1830م .

1 ـ العلاقات مع الخلافة العثمانية :

تتميز العلاقات بين الجزائر والخلافة العثمانية بطابعين اثنين :

أ ـ علاقات تعاون والمساعدة المتبادلة ، فقد كانت البحرية الجزائرية تساهم الى حد كبير في انقاذ البحرية العثمانية في كم من حرب بين العثمانية تكتلات أوربية كبرى وكانت دائما هي البادئة بالعدوان وتجهيز الجيوش ضدَّ المسلمين كمعركة ليبانت يوم 9 أكتوبر 1571م حيث كوان للأسطول الجزائري دور بارز وفي الحرب الروسية العثمانية سنة 1787م ودوره في طرد نابوليون من مصر وأخيرًا معركة نافرين البحرية يوم 20 أكتوبر سنة 1827م حيث صارع وحده دون الاسطول العثماني والذي أبيد ضد أساطيل الحلف الثلاثي "الروسي الانجليزي الفرنسي"[1].

ب ـ الطابع الثاني الذي كانت تتميز به العلاقات الجزائرية العثمانية هو استقلالية الجزائر استقلال تاما وسيادتها سيادة كاملة ، ومن هنا نرى الجمهورية الجزائرية وهذا كان اسمها الرسمي في غالب نصوص المعاهدات والمراسلات بينها وبين الدول الاخرى و منها مثلا مع لويس 14 ملك فرنسا بحيث كلما تعرضت الخلافة العثمانية لحرب ضد التكتلات الاوربية والنصرانية أي أن الجزائر كانت تتصرف كجزء من الخلافة العثمانية و هكذا فبينما كانت بعض الدول كالعراق ومصر وليبيا .لا تستطيع عقد أي معاهدة الاّ برخصة كتابية من الباب العالي وتمضي معاهدة باسم الخليفة العثماني كانت الجزائر تعلن الحرب وتعقد السلم وتجري المفاوضات والمعاهدات باسمها بعنوان جمهورية الجزائرية ومن المعاهدات بين الثلاثة بين خير الدين باسم دولة الجزائر والخليفة العثماني سليمان القانوني والملك الفرنسي فرانسوا

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م ،ج1 ،ط1 ، الجزائر 2007 ،ص 80

الاول في شاتيليرو سنة1534م حتى آخر معاهدة بين الجزائر وانجلترا سنة 1824م والوثيقة المشؤومة بين الداي حسن والجنرال ديبورمون يوم05 يوليو 1830م .

كما يذكر المؤرخ الفرنسي دي غرامون " لقد كان الديوان اي حكومة الجزائر يتخذ القرارات بكل سيادة فيعلن الحرب ويعقد السلم ويمضي المعاهدات وتقيم اخلافا بدون أن يتساءل عما إذا كانت ككل القرارات المتخذة موافقة أو غير موافقة سياسة الباي العلي "[1] .

2 ـ العلاقات مع ايطاليا والمعاهدات معها :

لقد بدأت العلاقة في عهد الناصر الحمادي والبابا غريغوار السابع في النصف الثاني من القرن 11 م بالضبط سنة1076م أما مع الدول الايطالية بدأت في القرن12م حيث كانت كل من دول الجنوبين والبيشين تتنافس مع دول القطلونيين (في اسبانيا) وحكومة مرسيليا (في فرنسا) على علاقات مع الجزائر خاصة مع موانئ بجاية وعنابة وهران ، ايطاليا الى جانب التبادل التجاري وانتقال مختلف العلوم مما كان له دور كبير النهضة فيها ثم اروبا الى جانب العلاقات السلمية في علاقة غارات وتكتلات وحروب بين الاساطيل خاصة البندقة وصقليا من جهة و أسطول الجزائر من جهة أخربكانت تتخللها فترات سلم ومعاهدات ومنها نذكر[2] :

ـ معاهدة هدنة مع جمهورية البندقية سنة1763م بين الداي بابا علي وفردينان الرابع .

ـ معاهدة سلم بين الداي عمر وملك الصقليين فردينان الرابع سنة 1816م .

وتتميز العلاقات بينهما الحرب الدائمة وآخرها كانت سنة1814م حيث انضمت فيه الدول الايطالية الى حلف سباعي يتكون من هولاندا ـ اسبانيا ـ بروسيا ـ الدانمارك ـ روسيا ـ الولايات المتحدة الامريكية التي شنت كلها مجتمعة حربا بحرية على الجزائر[3].

[1]– مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص 83

[2]– المرجع نفسه ، ص 86

[3]– مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص87

3 ـ العلاقات مع البرتغال :

لقد ورث البرتغال نفس الحساسية الاسبانية ضد الجزائر وبلدان المغرب كلها لذا نجد دوما في تيار المد الصليبي ضد الجزائر يحيك المناورات والمؤامرات ضد الجزائر وقد عقدت بينه وبين الجزائر أربع معاهدات.

ـ معاهدة هدنة سنة 1785م بين الداي محمد عثمان والملكة ماريا الاولى بوساطة بريطانيا بقصد الاضرار بالولايات المتحدة الامريكية ، حيث تجعل الجزائر تتفرغ لها وقد وصفها بارني بانها كارثة.

ـ معاهدة هدنة سنة 1793م بين الداي حسين والملكة ماريا الاولى .

ـ معاهدة سلم بين الداي حسن والملكة ماريا الاولى في سنة 1795م

ـ معاهدة سلم يوم 14 يوليو 1813م بين الداي الحاج علي والملكة ماريا الاولى[1].

4 ـ العلاقة مع الامبراطورية الألمانية :

المقصود بها الامبراطورية الألمانية الرومانية المقدسة التي عاصمتها فيينا في النمسا .

***معاهدتان :**

1) معاهدة سلم بين الداي محمد كور عبدي داي الجزائر والامبراطور شارل السادس امبراطور المانيا وملك المجر وصقلية بتاريخ 8 مارس 1727م.

2) معاهدة سلم وصداقة بين الداي محمد بكر والامبراطور فرانسوا الاول امبراطور الامبراطورية الالمانية الرومانية المقدسة ودوق طوسكانيا وزوجته الامبراطورة ماري تيريز ملكة المجر ويوهيميا وامبراطور السابق شارل السادس بتاريخ 8 أكتوبر1748م[2] .

5 ـ العلاقات مع اسبانيا :

باب العلاقات بين الجزائر واسبانيا قد كانت سيئة منذ البدء وتتمثل تلك الاوليات في عدوانهم تحت قيادة الاسقف الشنيع الذكر فرانشيسكوخمنيث ذي ثيسيووس والقائد العسكري بيد رودي نافارو على بلادنا ومن هنا فقد كان طابع العلاقات بين اسبانيا والجزائر طيلة 3 قرون متوالية هي الحرب الفعلية المتواصلة ولم توقع بينها الا معاهدتان اثنتان طول تلك المدة[3] .

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 89

[2]- مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص 120

[3]- المرجع نفسه ، ص 126

واول غارة اسبانية على الجزائر غارة فرانشيسكو خيمينيث و بيدرونخارو وعلي المرسى الكبير سنة1505م وعلى وهران سنة 1905م على يد خير الدين الذي حرر حصن صخرة الميناء (الينيوت) كما لم يخرجوا من بجاية الا سنة1555م على يد صالح رئيس ومن مستغانم سنة 1558م على يد حسن بن خير الدين ومن وهران الا سنة 1792على يد الداي حسن .

ـ غارة دييغودي فيرا سنة 1516م على الجزائر وهزم على يد بابا عروج نفسه وانتهت بكارثة عليه وعلى اسبانيا.

ـ غارة هوغوديمونكادا (شارلكان) على عاصمة الجزائر سنة 1541م ، وقد كان شارلكان يقود الحملة بنفسه وكانت اكبر حملة منذ قرن ومن بين مساعديه اندري دوريا القائد العام للبحرية وقد اسفرت غارة شارلكان عن هزيمة نكراء الحقت به خسائر فادحة ورجع إلى أروبا محطم المعنويات وهكذا انهكت هذه المعركة في نفس شارلكان أعمق الجروح أفقدته ثقته بنفسه لبقية ايامه .

ـ وقد ظل دايات الجزائر يسعون لاسترجاع وهران والمرسى الكبير سنة1708م بقيادة مصطفي بوشلاغم باي المغرب في عهد الداي محمد بكداش أما الاسبان فقد قالو " لقد خسرنا الجزائر بسبب كثرة ذنوبنا وازدياد أعداد هذه المملكة الكاثوليكية " .

ـ وعاود الاسبان بعد 23سنة الهجوم في أواخر يونيو 1732م حيث جهز الملك الاسباني فيليب الخامس أسطولا ضخما أبحر من لقنت ونزل بالأندلسيات و أغار على وهران يوم أول يوليو وعلى المرسى الكبير في اليوم الثاني وقد كان ذلك في عهد نفس الباي الذي كان منذ سنة 1708م عند طرد الاسبان في المرة الاولى مصطفي بوشلاغم ولكن الداي لم يعد محد بكداش بل محمد كور عبدي بحيث حقق الاسبان الانتصار في وهران وذلك الدين النصراني[1] .

ـ وقد عقدت معاهدة سلم وصداقة بينهما يوم 14 يونيو 1786م .

ـ معاهدة سلم وصداقة دائمتين بين محمد عثمان داي الجزائر وكارلوس الثالث ملك اسبانيا في الجزائر سنة 1786م وقد كانت معاهدة قاسية على اسبانيا حيث أن حيث أ، الاسبان لم ينفذوا التزامهم بالخروج من وهران والمرسى الكبير واستمر الحال حتى صيف 1791م حيث اشتدت المعارك التي كانت يوميا .

ـ معاهدة سلم وصداقة بين الداي حسن ودون كارلوس الرابع ملك اسبانيا سنة 1791م وكانت هذه المعاهدة مرهقة لإسبانيا يلزمها بدفع ضريبة سنوية فضلا عن الهدايا .

[1]– مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص ص ، 126 ، 135

6 ـ العلاقات مع انجلترا :

وهنا يعتمد مولود قاسم نايت على قول دوغرامون يقول "كان الانجليز في بداية القرن 16 يتبادلون تجارة كبيرة مع الجزائر اذ يصدرون لها السلاح والبارود...

ـ وقد بدأت العلاقات مع انجلترا طيبة وسليمة تعاونية ودية إلا أن تطور القرصنة الأوربية كانت بدأت من البلدان الكاثوليكية (اسبانيا. فرنسا. ايطاليا. مالطا . البابرية) ثم انضمت اليها فيما بعد (انكلترا . هولندا .الدانيمارك. أمريكا .ألمانيا) كل ذلك دفع بإنكلترا إلى أن تدخل الغمار فأرسلت عدة غارات الى الجزائر تتجاوز العشر باءت كلها بالفشل عدا حملة واحدة في الاخير سنة 1816م ومن أهمها[1] :

ـ 1620غارة روبير ماشيل على الجزائر في عهد الملك البريطاني جيمس الاول.

ـ غارة ادوارد سيراغس على بجاية سنة 1670 أو 1671م وهكذا كان طابع العلاقات بين البلدين يتأرجح ولكن الطابع الودي الى أن عرضت انجلترا على الجزائر التحالف .

وبلغت العلاقات الطيبة في عهد الداي محمد عثمان وجورج الثالث وقد كانت كل من* انجلترا * فرنسا * اسبانيا * وانضمت اليها هولندا تتزاحم على شراء القمح الجزائري .

ـ ومن بين المعاهدات التي عقدت بين الجزائر وبريطانيا 18 معاهدة قبل 1830 ونذكر بعض منها :

ـ معاهدة سلم وتجارة سنة 1655م بين حامد باشا رئيس دولة الجزائر و اوليفركرو مويل .

ـ معاهدة سلم سنة 1682م بين الداي بابا حسن والملك شارل الثاني .

ـ معاهدة سلم وتجارة في عهد ابراهيم خوجة داي الجزائر وجيمس الثاني ملك انجلترا وإيرلندا او أسكوتلندا سنة 1686م .

ـ هدنة بين الجزائر وبريطانيا في عهد الداي عمر وجورج الثالث سنة 1816م[2] .

7 ـ العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية :

اعتمد مولود قاسم نايت على رأي المؤرخ الأمريكي بارني في كتابه المذكور عن حرب العشر سنوات بين أمريكا والجزائر أن ...هاتين الفقرتين التاليتين على غطاء الغلاف "كانت هناك حرب بين أمريكا والجزائر وإن لم تقع معارك حربية عدا استلاء الجزائريين على بواخر أمريكية في البحر

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص ص 200 ، 2013

[2]- مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص 213

الابيض المتوسط" ، "وفي ذلك الوقت لم يكن لدى الولايات المتحدة الأمريكية من المال ألا القليل وتجربة دبلوماسية ضئيلة ولا أسطول اطلاقا " .

ويذكر نايت بلقاسم أنه لم يعثر على أنه قد قرأ عن اعتراف الجزائر بالولايات المتحدة الامريكية بمجرد استقلالها فان كانت كل المراجع التي وقعت بيدي تؤكد أن الاتصالات المباشرة الأولى بين الجزائر و أمريكا إذا ما استثنينا الاعتراف الدبلوماسي مكن طرف الاولى كانت مبكرة .

ـ وعلى كل فان أول المبعوثين الامريكيين الى الجزائر كانت جون لام و راندال الذين قدموا الى الجزائر سنة 1786 للتفاوض على عقد معاهدة سلم الا ان الداي محمد عثمان رفض استقبالهما ، أن أول معاهدة بين الجزائر وأمريكا لم تعقد الا سنة 1795 حيث دامت الاتصالات مدة عشر سنوات كاملة[1] .

وأثناء هذه المدة لم تترك أمريكا دولة أوربية لم تتصل بها من الصغرى مثل البندقية الى المتوسطة مثل هولندا والكبرى مثل روسيا لتكون معها حلفا ضد الجزائر.

ـ وهكذا اقترح جيفرسون وزير الخارجية الولايات المتحدة الأمريكية على فرنسا عقد معاهدة تحالف ضد الجزائر ومن هناك حاولت أمريكا أن تكوِن كتلا ضد الجزائر (حلف أوروبي أمريكي) .

ولكن كل محاولات امريكا باءت بالفشل ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لعقد معاهدة سلم ولكن الداي حسن عقد معاهدة مع الامريكان حتى لو دفعوا كل الملايين واستمرت المساعي الامريكية بدون جدوى واستروا بالقيام بمساع دبلوماسية متوازية وعروض مالية .

وأخيرًا وبعد مفاوضات ومحاولات قبل الداي حسن الذي خلف الداي محمد عثمان سنة 1791م بعقد معاهدة سلم ولكن كانت مرهقة لأمريكا والتي رضخت لها فيما يلي :

ـ مبالغ مالية لافتداء الاسرى .

***ومن المعاهدات نجد ثلاث :**

ـ معاهدة سلم وصداقة يوم 05 سبتمبر 1795 بين الداي بابا حسن والرئيس جورج واشنطن .

ـ معاهدة سنة 1815م سلم وصداقة في عهد الداي عمر وجيمس ميدسون .

ـ معاهدة سنة 1816م بين الداي عمر وجيمس ميدسون[2] .

---

[1]- المرجع نفسه ،ص ص 214 ، 235

[2]- مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص 246

وفي نفس السياق نجد في مذكرة ماجيستير خير الدين بربروس وجهاده ضد الإسبان حيث يرى صاحب المذكرة أن العلاقات الجزائرية الدولية ضمن ثلاث محاور مع البلدان الاسلامية وخاصة الخلافة العثمانية والدول المغاربية المجاورة والعلاقات الجزائرية الأوروبية .

***علاقة الجزائر بالدول العثمانية :**

لقد انتهجت الجزائر سياسة واضحة لمقاومة الاحتلال المسيحي والجهاد ضد الصلبيين الذين يقابلها الاعتراف الرسمي بالخلافة والتبعية حفاظا على مظهر الوحدة الخارجية للبلاد الإسلامية أما المرحلة الثانية وهي الاستقلالية فقد تمكنت الجزائر من تحرير الشغور من الاسبان وفتحت صفحة جديدة من العلاقات الجزائرية العثمانية بتلقي الدعم الذي تم به القضاء على أحلام الدول الصليبية بتقدمها المساعدة للجزائر اذا تمكن العثمانيون تحرير شمال افريقيا في القرن 16 من الخطة الاسباني وهكذا تراوحت علاقة الجزائر بالعثمانيين علاقة تعاون ومساعدة متبادلة أما من الجانب الجزائري فقد ساهمت البحرية الجزائرية الى حد كبير حماية الجناح الغربي للخلافة وساعدتها في حربها كمعركة لبانت سنة1571م.ولكن سرعان ما تغيرت العلاقة وبرز ما يسمى بالاستقلالية واصبحت الجزائر تجري المفاوضات وتعقد المعاهدات باسمها دون الحاجة الى رخصة ويتجلى ذلك على المعاهدة الثلاثية التي عقدها خيرالدين باسم الجزائر والخلفية العثماني والملك فرنسوا ملك فرنسا في شاتيلر سنة 1534م[1]

***علاقة الجزائر بالدول المغاربية :**

ارتبطت العلاقات بين الجزائر والدول المغاربية بالصراع الحاد خاصة تونس حيين ضم خير الدين تونس الى الخلافة ، اضافة الى طبيعة الأنظمة السياسية المتناقضة بين الحكم الجمهوري والحكم المطلق في هذه الدول .

1 ـ العلاقات مع تونس :

ظلت العلاقة بين الجزائر وتونس علاقة عداء الى غاية تمكن الاسبان سنة 1535م من التدخل في سياسة تونس و احتلالها وهو ما دفع الجزائر الى تنظيم حملات متتالية لفرض سلطتها عليها كما توصل الجزائريون الى فرض اتاوة وضريبة على تونس مقابل المساعدات لكن بايات تونس رغبوا في الاستقلال وهذا ما شدد العداء خاصة حين قام الباي مراد عام 1701م بالهجوم على قسنطينة و

[1] -كليل صالح . سياسة خير الدن في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط . رسالة ماجيستير تاريخ حديث معاصر .2006.2007. جامعة باتنة . ص 177

محاصرتها ولم تتراجع عنها إلا بعد انهزامها ووقوع جيشه في الأسر وتجدد الصراع بعد خلاف حول جزيرة زنيرة .

2 ـ العلاقات مع المغرب الأقصى :

تميزت العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى منذ البداية بالتنافس خاصة عندما عقد الكونت دي الكودات الموجة للسياسة الاسبانية في شمال افريقيا عقد التحالف مع المغرب ضد الجزائر بوساطة أحد اليهود بن يعقوب كانسيو وتاجر جنوي بولو جريلو وكانت الخلافة في القرن 16م حول مراقبة تلمسان مما دفع ملوك المغرب للتقرب من الإسبان وعقد معاهدة صداقة سنة 1589م والانجليز عام 1585م وقد أدى ذلك بالجزائر وقد ادى ذلك بالجزائريين الى احتلال فاس سنة 1554م بعد أن تأكد ومن تآمر المغرب مع الإسبان ، وكانت النتيجة زوال الأسرة السعدية وظهور الأسرة الشريفة التي أصبحت معرضة للتهديد الجزائر نتيجة لمواقفها من البرتغاليين واستمر الوضع الى غاية سقوطها وظهور أسرة العلويين وبنفس العلاقة خاصة في عهد السلطان اسماعيل الذي وضع خطة لغزو الجزائر ولكن تمكن الداي شعبان من القضاء على القوة المغربية وآمال السلطان في ضم تلمسان والجهات الغربية ، وظلت العلاقات المغربية الجزائرية تتراوح بين الجذب والليونة والتوتر وحالة التقب ولكن هزيمة السلطان اسماعيل علي يد الداي شعبان عام 1694و1703م وضعت حد لحرب المغرب واضطرته لتوقيع معاهدة وجدة التي قضت بالاعتراف المتبادل ورسم حدود والاتفاق على جعل واد التافنا حدا فاصلا بينهما ودخل المغرب الى فترة عزلة واتجهت الجزائر الى تحرير مدنها من الاحتلال الإسباني[1].

[1] -كليل صالح . المرجع السابق ص ص 181 ، 184

الفصل الثاني

الجانب الاجتماعي

والثقافي

المبحث الأول :التركيبة السكانية

المبحث الثاني :الصحة

المبحث الثالث :المراكز التعليمية

المبحث الرابع :العلماء ومؤلفاتهم

عرفت البلاد الجزائرية خلال العهد العثماني اضمحلالا اجتماعيا صاحبه سوء الأحوال الصحية و المعاشة تخربت أثنائها المدن وتراجع عدد سكان الأرياف في القرنيين 14 و 15م فتحسنت أثناء القرن 16 م والنصف الأول من القرن 17 م حيث ساعد ذلك قدوم عدد من مهاجرين الأندلس واستقرارهم بالمدن والقرى وتوسع عمران مدن الجزائر وبعد مرحلة تحسن الأحوال المعاشة الصحية للسكان تعيش البلاد الجزائرية مرحلة أخرى تتميز بالانكماش العمراني وذلك طيلة النصف الثاني من القرن 17م والنصف الأول من القرن 18م ،حيث تفقر الأرياف والمدن من سكانها وتتكاثر الأمراض و الأوبئة بشكل كبير يثير الانتباه وهذا مانحا ول الإجابة عنه في هذا الفصل .

1 ـ التركيبة السكانية:

نتطرق في مبحث التركيبة السكانية معرفة الفئات السكانية والأعمار والأجناس والنمو الديمغرافي في الجزائر العثمانية ونجد هذا عند الكثير من المؤلفين والكثير من الكتابات من بينهم الدكتور ناصر الدين سعيدوني في كتابه دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في فصله الثالث الوضع الديمغرافي في الجزائر خلال العهد العثماني بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان وكثافتهم وذلك تبعا للظروف الصحية والأحوال المعيشية والشروط الطبيعية كما أشار ناصر الدين سعيدوني انه لا يمكن اخذ فكرة عامة عن الواقع الديمغرافي في العهد العثماني، كما أشار ناصر الدين سعيدوني معلومات قادة الجيش الفرنسي اثر احتلالهم في الجزائر حول التعداد السكاني بل حاول التماس الحقيقة من بعض الإحصائيات المعتدلة نذكر منها[1]:

*إحصاء بوتان 1808 م الذي قدر عدد سكان بما لا يقل عن 2.800.000 نسمة ولا يزيد عن 3.000.000

*إحصاء شالر 1822م الذي يذكر فيه أن عدد السكان الخاضعين للحكم التركي المقدر ب 1.870.000 نسمة.

*إحصاء بيرو الذي يحدد السكان 2.500.000 نسمة

[1]–ناصر الدين سعيدوني ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة ،ج2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988 ،ص 130

معلومات اللجنة الإفريقية رأت العدد يتراوح ما بين 2.000.000 نسمة و 4.000.000 نسمة وهذا ما يؤكد أن سكان البلاد الجزائرية كانوا لا يقلون عن 3.000.000 نسمة ولا يزيد على 4.000.000 نسمة[1].

أيضا ذكر ناصر الدين سعيدوني أن مدينة الجزائر عرفت في مطلع العهد العثماني نموا ديمغرافيا بسبب توافد الأندلسيين واليهود واستقرار مجموعات من الأتراك و الأعلاج لممارسة الجهات البحري وجلب أعداد كبيرة من الأسرى وهذا ما جعل سكان مدينة الجزائر الذين كانوا يقدرون ب120 ألف نسمة سنة 1450.1518 م يصلون إلى 30 ألف نسمة سنة 1533م بقي هذا النمو السكاني متواصلا طيلة القرن 16 م حتى منتصف القرن 17 م الذي بلغت إثنائه مدينة الجزائر أوجها حيث أصبح عدد سكانها يقدر ب 120 ألف نسمة سنة 1620م في هذه الفترة بلغت الجزائر أوج نموها العمراني عندما ناهز سكانها 150 ألف نسمة وبعد هذا بدأ السكان يتناقصون لانقطاع سير الهجرة الأندلسية وتناقص الأسرى واشتداد الأمراض وحدوث الزلازل والمجاعات.

كما ذكر ناصر الدين سعيدوني أن تطور عدد السكان وعدد الجيش وقطع الأسطول والأسرى والغنائم يفسر لنا صدق أوضاع المجتمع وحالة الاقتصاد إذ كل ما نشطت التجارة وازدهرت الزراعة وتطور الإنتاج الصناعي في المدن كلما قلت الوفيات وازداد عدد السكان وتطور عدد الجيش وزادت أرباح القرصنة وكلما انكمش النشاط الاقتصادي وساءت الأحوال الصحية[2] .

بالنسبة للدكتور أبو القاسم سعد الله تكلم عن فئات المجتمع الجزائري في العهد العثماني في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي في الفصل الثاني من الكتاب وذكر بأن هناك ثلاث عوامل خارجية أثرت في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خلال العهد العثماني الأول هجرة الأندلسيين التي بدأت خلال القرن 9 و10 هجري والثاني وجود العثماني نفسه والثالث الوجود المسيحي واليهودي وقد حل على المدن الساحلية الجزائرية عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الفارين من الاضطهاد الاسباني وقد ساهموا في الحياة الاجتماعية بإدخال عنصرين أساسيين الأول مضاعفة الكفاح ضد الإسبان في البحر والثاني نشر أنماط حضارتهم بين الجزائريين ،وبذلك أصبح الأندلسيين عنصرا بارزا مؤثرا . من السكان بحركتهم التجارية ومهاراتهم في البحر .

[1] –ناصر الدين سعيدوني ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق ، ص131

[2] –نفس المرجع ، ص 135 . 137

أمّا العثمانيون فقد أثروا بدورهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للجزائر وأول هذا التأثير هو ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي وجلبوا معهم وسائل حضارية شرقية إلى الجزائر من مآكل وملابس ومشارب وألقاب وصنائع وتقاليد ،وأما المسيحيين واليهود فهو لا يرقى في الأهمية إلى العاملين الآخرين (الأندلسي والعثماني) ولكنه جدير بالذكر فالجزائر العثمانية فقد شهدت نشاطا أوربيا بحريا كبيرا على سواحلها وفي مدنها الرئيسية وتثبت الوثائق أن الجالية اليهودية كانت قوية خلال هذا العهد وأنها كانت تعيش في أهم المدن وخاصة عواصم الأقاليم ومدينة الجزائر نفسها[1].

ولكن ما ذكرناه لا يعد وان يكون عوامل مؤثرة خارجية فالمجتمع الجزائري ظل مع ذلك محتفظا بقيمه العربية الإسلامية ، فإذا عدنا إلى دراسة خلايا هذا المجتمع وجدنا العثمانيون يأتون في أعلى السلم بحيث كانوا يحتكرون السلطة فمنهم الباشوات والوزراء والبايات و رؤساء البحر أو الرياس والأغوات أو قواد البحر، وبعد عدة أجيال من الوجود العثماني في الجزائر ظهرت فئة جديدة من المولودين العثمانيين (من أمهات جزائرية) الذين كانوا يطمحون الصعود إلى المرتبة الأولى في المجتمع ولكن العثمانيين منعوهم واعتبروهم كرا غلة غير أصليين أو أبناء عبيد حتى يحافظوا على مقاليد السلطة في أيديهم والفئة الثالثة هي فئة الحضر وهي تشمل سكان المدن (في مقابل سكان البادية) وهي تضم العلماء والتجار وأصحاب الحرف والصنائع والكتاب والإداريين وكانت هذه الفئة محرومة من التطلع السياسي لأن احتكار العثمانيين للسلطة ولكن هذه الفئة لم تكن بدون نفوذ فهي عن طريق النفوذ الاقتصادي على يد كبار التجار وأمناء أهلا الحرف والصنائع والجاه الروحي العلماء ومرابطون المدن والقضاة.

وذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله بأن هناك فرق شاسع بين مجتمع المدينة ومجتمع الريف فالنظام الإقطاعي الذي دعمه العثمانيون قد جعل الفلاح يأتي في آخر القائمة الاجتماعية ،وكان الفلاح محل استغلال الشيوخ والمرابطين والقواد والخلفاء والجنود وغيرهم من أصحاب الحكم والنفوذ ، وقد نجح العثمانيون في تدعيم سلطتين في الريف الجزائري الأولى سلطة روحية تتمثل في لجوئهم لأهل الصلاح والخير وأهل التصوف والثانية سلطة دنيوية وتتمثل في شيوخ القبائل وكان الجميع متعاونين على استغلال حرف الفلاحين وأهل البادية إلى أقصى الاستغلال وكان الذي لا يستطيع أن يدفع اللزمة أو الضريبة يصبح مخزنيا أي خادما في صفوف المستغلين ،وبذلك يصبح هو بدوره مستغلا لغيره لأن عليه في هذه الحالة أن يبرهن على ولائه للسلطة بمعاقبة الرعية ،والحديث هنا عن الجماعات

[1] -أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي المرجع السابق ،ص 148 . 150

وليس على الأفراد ذلك أن هناك قبائل بأسرها قد خرجت من حالة الرعية إلى الحالة المخزنية لكي ترقى من حالة كونها موضع استغلال إلى كونها هي نفسها مستغلة لغيرها بل أداة استغلال ،فالريف الجزائري إذن كان متنوع الحكم ولكن شتى أنواع الحكم فيه هو المسلط على الرعية طبعا[1].

وقد ذكر ناصر الدين سعيدوني ن البنية الاجتماعية بالمدن والأرياف في كتابه تاريخ الجزائر في العهد العثماني في الفصل السابع بحيث يتصف الوضع الاجتماعي للجزائر أثناء العهد العثماني بتمايز السكان حسب نمط معيشتهم وأسلوب حياتهم واختلاف مصادر رزقهم وطبيعة علاقاتهم بالحكام وهذا ما يساعد إلى عدة طوائف وجماعات ،فسكان المدن كانوا ينقسمون إلى مجموعات طائفية.

وحرفية تحتل أعلى السلم الاجتماعي الأقلية التركية ثم تليها جماعة الكرا غلة ثم طبقة الحضر بما فيها من أندلسيين وأشراف ثم جماعة البرانية والدخلاء التي تضم الوافدين إلى المدن من مختلف الجهات وتشمل اليهود والنصارى ،أما سكان الأرياف فهم ينقسمون بدورهم إلى متعاملين مع السلطة الحاكمة وهم عشائر المخزن وخاضعين لرجال البايلك وهم قبائل الرعية القاطنين في المناطق الجبلية أو النائية من الإيالة الجزائرية[2].

2 ـ سكان المدن:

ويتكون من الأقلية التركية وجماعة الكرا غلة وطبقة الحضر وجماعات البرانية والدخلاء[3].

***الأقلية التركية:**

تتشكل من الجنود الأتراك "الانكشارية" الذين كانوا يستقرون ويتوزعون على حاميات المدن وقد ظلت الأقلية التركية ضئيلة العدد لم يتجاوز عدد أفرادها أواخر القرن 16م 10 آلاف نسمة وظل ثابتا حتى أوائل القرن 19م ،وترجع قلة العنصر التركي رغم المدة الطويلة التي قضاها الأتراك بالجزائر إلى حالة العزوبة التي كان يعيشها أفراد الجيش التركي.

***جماعة الكرا غلة:**

تكونت هذه الجماعة نتيجة تزاوج أفراد الجيش التركي "الانكشارية" بنساء البلاد ظهرت في المدن التي تقيم بها الحاميات التركية وهي الجزائر، ،معسكر، مستغانم ، مازونة و تلمسان وقد احتلت المرتبة الثانية في السلام الاجتماعي لصلتهم بالأتراك وعلاقتهم بالأهالي وقد ألفو طبقة وسطى ميسورة الحال تمارس التجارة وتشتغل في المهن وتستغل الملكيات الزراعية وفي بعض الأحيان

[1] –أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص ص 152 . 158

[2] –ناصر الدين سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص 215

[3] –المرجع نفسه ، ص 227

تقوم بوظائف إدارية متوسطة الأهمية ،وقد تخوف الأتراك من تكاثر الكرا غلة فتطلع بعضهم لنيل الامتيازات والمشاركة في الحكم وقد أدى ذلك الصدام المسلح بين الأتراك و الكرا غلة.

***طبقة الحضر:**

تتشكل من المجموعات القاطنة بالمدن وهي طبقة اجتماعية ميسورة يشتغلون في المهن الصناعية ويتولون وظائف السلك القضائي والتعليمي منهم الصناع والتجار والبحارة والعلماء والفقهاء وتشكلت من الجالية الأندلسية وجماعة الأشراف وقد كان الأندلسيين عامل ازدهار اقتصادي وتطور عمراني ونمو بشري ،أما جماعة الأشراف فقد اشتهر أغلب أفرادها بالورع والتقوى وهذا ما أكسبهم الاحترام لدى الحكام.

***مجموعة البرانية:**

تتألف من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر ،قسنطينة وتلمسان وقد انتظمت حسب أصولها الجهرية ومواطنها الأولى فهناك البساكرة، الأغواطيين ،الميزابيون ،القبائل العبيد..

أ- جماعة بني ميزاب: ينتسب إليها سكان قرى وادي ميزاب ومناطق الشعانبة و ورقلة القرارة يعملون في مطاحن الحبوب والحمامات ،وقد تميزت بتفانيها في العمل و إخلاصها للحكام ووقوفها مع الأتراك في صراعهم ضد الكراغلة وهذا ما مكنها من تكوين ثروات ضخمة واشتراء الدور والمنازل والمحلات والبساتين وامتلاك الحمامات أفران الخبز[1].

ب- جماعة البساكرة: تتكون من أهالي مناطق الزيبان ووادي الريغ وسوف وتوقرت الذين قدموا إلى المدن الكبرى طلبا للعيش وامتهنوا المهن المتواضعة و الأعمال الشاقة كإحضار المياه إلى المنازل وتنظيف القنوات والمجاري من الأوساخ وحمل السلع والبضائع كالفحم والحطب والحبوب وهذا ما عرضهم الى الأخطار والأمراض التي كانوا ضحاياها الأولين.

ج- جماعة الوصفات أو النرنوج: تتألف من العبيد السود الذين قدموا من بلاد السودان عن طريق الواحات الصحراوية للعمل في المنازل ويشتغلون في المنازل بأعمال التنظيف والغسيل والمخابز وأعمال البناء وصنع القفاف من القصب والحلفاء.

د- جماعة الجيجلية: اعتاد أهل مدينة جيجل ونواحيها الهجرة إلى مدينة الجزائر وذلك للعلاقة الخاصة التي كانت تربطهم بالأتراك منذ استقرار الأخوين بربروس ،وقد استعان خير الدين بأهالي جيجل

[1] -ناصر الدين سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص 230

لقمع ثورة ابن القاضي وهذا ما ساعد على تدعيم مكانة أهالي جيجل ،وتمكن الكثير منهم من الحصول على الثروات وامتلاك المخابز والمنازل.

هـ- جماعة الأغواطيين: ينتسبون إلى مدينة الأغواط والى قبيلتي الزناجرة وأولاد نايل وأغلبهم يتولى أعمالا متواضعة مثل ، حمل البضائع والأشغال بأعمال الوزن والكيل بأسواق الجزائر وبيع الزيت .

و- جماعة القبائل: أتى أغلب أفرادها من المناطق الجبلية إلى الجزائر تلمسان ، البليدة ، المدية ،و قسنطينة للعمل في هذه المدن واشتغلوا بالمهن اليدوية والأعمال الزراعية وينتسبون إلى منطقة جرجرة زواوة ويتولون العمل في دكاكين بيع الزيت أو يقومون بالحراسة في الليل ويشتغلون في بناء السفن والمنازل وغيرها[1].

ويقول ناصر الدين سعيدوني أن مجموعة البرانية بمختلف طوائفها تتميز بأوضاعها السيئة وظروفها الصعبة فأغلبهم كانوا يعيشون من دخل مهنهم المتواضعة والشاقة.

ـ الجالية اليهودية:

تشكل إحدى العناصر البشرية المهمة بالمدن الكبرى وتعود أصولها إلى اليهود المحليين بالجزائر إضافة إلى يهود الأندلس "السافر ديم" قدموا مع مسلمي الأندلس هروبا من اضطهاد النصارى ويهود ليفرون والموانئ الايطالية لممارسة التجارة وتصريف غنائم الجهاد البحري وعقد الصفقات بين الدول الأوربية وحكومة البايلك، وقد اكتسب اليهود عادات وتقاليد الأهالي واتخذوا اللغة العربية كأداة تعبير في معاملاتهم اليومية، وقد كان حكام الأتراك يثقون باليهود هذا ما ساعدهم على اندماجهم في المجتمع الجزائري .

ـ الدخلاء:

هم العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري مثل :التجار الأجانب والقناصل الأوربيين ورجال البعثات الدينية والإرساليات التبشيرية وجماعات الأسرى المسيحيين .

ـ سكان الأرياف:

يؤلف سكان الأرياف غالبية سكان الإيالة الجزائرية ويمكن تصنيفهم حسب صلتهم بالحكام وعلاقاتهم ببعضهم وطريقة حياتهم كالتالي سكان متعاونون (قبائل المخزن) سكان خاضعون (قبائل الرعية) .

[1] -ناصر الدين سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص 238

أ- قبائل المخزن هي مجموعات سكانية لها صبغة فلاحيه وعسكرية و إدارية لما تقوم به من أعمال ويتكونون من العبيد الكرا غلة عرب الصحراء سكان الهضاب والجبال وقبائل المخزن تشكل حلقة وصل بين الأهالي والأرياف والحكام في المدن بل أصبحت في أواخر العهد العثماني تؤلف رابطة متينة تشد المحكوم إلى الحاكم وتبقى على تماسك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الريف[1].

ب- قبائل الرعية:تتألف من المجموعات السكانية الخاضعة البايلك المقيمة بالدواوير والمداشر والقرى المنتشرة في الجهات التي تراقبها قبائل المخزن، وقد تعرضت هذه القبائل للاضطهاد والإكراه والاستغلال من رجال البايلك وفرسان المخزن ،فاستخلصت منها الضرائب الثقيلة وبيع محاصيلها الزراعية بأسعار زهيدة وقد أدى هذا الضغط إلى تفككها فلم تعد قبائل الرعية تعتمد على تجانسها على الأصل المشترك والانتساب العرقي فأصبح تجانسها يتركز على الظروف المعيشية ومعاملتها مع الحكام[2].

وقد أشار مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث من الباب الخامس عشر من الكتاب بحيث ذكر أن من خصائص المدن الكبرى هو أنها تجمع سكان من جهات متنوعة فإن سكان المدن كانوا في العهد العثماني ينقسمون إلى طوائف معينة حسب الأحوال والجهات التي ينتمون إليها فهناك الأتراك الذين كانوا يشكلون الطبقة الحاكمة التي تستند إليها أهم المسؤوليات، وهناك أهل المخزن من القبائل الخليفة الذين يملكون أراضي خصبة وهناك القادمون من وادي ميزاب الذين كانوا يشتغلون جزارين وبتسيير الحمامات والطواحين، وهناك القادمون من بسكرة الذين يحترفون الحمالة ونقل الماء، وهناك السود المتحررون الذين كانوا يحترفون الموسيقى وفنون البناء ،وهناك القادمون من الجبال القاحلة الذين كانوا يشتغلون عمالا بالأجرة الخ...، وقد كان سكان الريف حسب مبارك الميلي أنهم يمثلون في العهد التركي حوالي 90 في المائة من سكان الجزائر[3].

أما الدكتور أرزقي شويتام فقد قسّم التركيبة السكانية إلى صنفين:

1-**الحضر**:سكان المدن الذين كانوا يتشكلون من فئات عديدة محلية ذات أصول أمازيغية وعربية "البلدية ، البرانية، الأندلسيون" ورغم استئثار هذه الفئة بالمناصب الإدارية كالقضاء والإفتاء والإمامة فإن دورها السياسي كان ثانويا بسبب انشغالها بمصالحها المادية ولعدم انسجام تركيبتها البشرية،

[1] -ناصر الدين سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص 241 . 243

[2] -ناصر الدين سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص ص 244 . 250

[3] -مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج3 ،مطابع بدران وشركائه،بيروت 1964، ص 215 . 216

وهناك فئات أخرى وافدة كالأتراك العثمانيين الذين كانوا يضمون الأعلاج الأوربيين و الكرا غلة ،أمّا فئة الدخلاء فكانت تضم الأوربيين "تجار وأسرى" واليهود كانت هذه الفئة الأخيرة على درجات متفاوتة من حيث المكانة الاجتماعية ويتمتعون بهامش من الحرية مكنهم منها الاندماج في المجتمع الجزائري مع تمتعهم بحرية المعتقد الديني ورغم ذلك فقد كانوا يعانون من نوع من التمييز في المظهر والسلوك والتملك.

هذا وقد تميز سكان المدن "الحضر" بسيطرتهم على المجالين الصناعي والتجاري وتميزت حياتهم الاجتماعية بمظاهر الرفاهية وحبهم للعلم وحرصهم الشديد على قواعد النظافة كتنظيف المنازل والشوارع وغسل الأبدان والملابس ، لذلك انتشرت الحمامات والعيون العمومية بكثرة ، ولا شك أن ميزة النظافة المستمدة من العقيدة الإسلامية ،وقد لعبت دورا هاما في حماية السكان من الأمراض والأوبئة كالطاعون والجدري والكوليرا.

2-**سكان الأرياف:** كانوا يشكلون نسبة كبيرة من التركيبة السكانية ،أمّا مستواهم الاجتماعي فكان أقل من سكان المدن واعتمدوا في معيشتهم على الزراعة في السهول والجبال وعلى تربية المواشي في الهضاب والصحراء[1].

***الصحة:**

إن الحديث عن الحالة الصحية في الجزائر أثناء العهد العثماني يجرنا إلى ما ذكره الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة) في جزئه الثاني حيث تكلم عن الأحوال الصحية للجزائر في فصله الثالث حيث ذكر تدهور وسوء الحالة الصحية و المعيشية وكان هذا سيئا على الوضع الاجتماعي.

ولعل أسباب سوء الحالة الصحية أهمها انتقال العدوى من الأقطار المجاورة لذلك لصلة الجزائر بعالم البحر الأبيض المتوسط وعلاقتها بالبلاد الأوربية وارتباطها بالمشرق العربي فمن هذه البلدان نذكر مصر ،الحجاز ،اسطنبول وانتقلت الأمراض كالكوليرا والتيفوس والجدري والطاعون والدمل والسل ولعل أهم طرق انتقال هذه الأمراض من مواطنها الأصلية إلى الجزائر توافد التجار والبحارة والحجاج والطلبة من أقطار الشرق الأوسط إلى الموانئ الجزائرية ، كما ذكر ان الأدوية والعقاقير كانت غير

[1] -ارزقي شويتام ، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519 .1830 ، رسالة ماجيستير جامعة الجزائر قسم التاريخ 2005 . 2006 ،ص ص 53 .65

متوفرة وكانت توجد بمدينة الجزائر صيدلية واحدة ، وهذا وعدم اهتمام الحكام بأمور الصحة فهم لم يتخذوا أي اجراء وقائي ضد الأمراض، فأماكن العلاج كانت تختصر في بعض المصحات وملاجئ العجزة مثل مصحة زنقة الهواء وملجأ الأمراض العقلية المخصص للأتراك وكذلك المستشفى الذي أنشأه الراهب المعروف بقرار ريدو عام 1662م ومستشفى لازاريست[1].

أمّا الأستاذ العربي الزبيري فقد ذكر في كتابه التجارة الخارجية للشرق الجزائري أنّ الجزائر تعرضت لأمراض وأوبئة مختلفة أصابت سكانها مرات متعددة، وأحدثت خسائر تكاد تكون خيالية من كثرة هولها وارتفاع عدد الضحايا، وبما أن العلوم لم تكن قد بلغت درجة فائقة من التطور بحيث تحدد جراثيم الأوبئة تحديدًا مضبوطا ، فإن السكان والأطباء كانوا ينسبون كل هذه الظواهر المريعة الى مرض الطاعون الذي كثيرا ما وقفت السلطات المحلية عاجزة أمامه لا تقوى على اتخاذ أية تدابير وقائية لما كان من اختلاف رجال الدين فيما يتعلق بمعاملة.

المصابين ومعالجتهم[2] فمنهم من يدعو إلى الاحتراز معتمدا على قوله تعالى "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إنّ الله يحب المحسنين"[3] ومنهم من يدعو إلى التوكل على الله وعدم الاحتراز معتمدين في رأيهم على قوله تعالى " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّاَ مَا كَتَبَهُ الله لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَلْ المؤْمِنِينْ"[4] .

وقوله "وَلِكُلِ أُمَّةٍ أَجَلُ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَة وَلَا يَسْتَقْدِمُون"[5].

وذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني أنه تناقص عدد كبير من سكان مدينة الجزائر حيث تراجع عدد سكانها الى خمسين ألف نسمة بعد أن أدى وباء عام 1787م بحوالي 16.821 نسمة من أهاليها[6].

أيضا ذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه الحياة الريفية أنّ سوء الوضع الصحي يرتبط بعوامل معينة غير العامل البيئي ومنها المعارف البدائية في مجال النظافة والوسائل الوقائية المتواضعة المتوفرة لدى السكان ،ونقص التجهيزات الضرورية للحد من انتشار العدوى وقصور إجراءات الحجر

[1] –ناصر الدين سعيدوني ،دراسات وأبحاث، المرجع السابق ، ص 124 . 125

[2] –محمد العربي الزبيري، المرجع السابق ، ص 49

[3] –الآية 195 من سورة البقرة

[4] –الآية 51 من سورة التوبة

[5] –الآية 34 من سورة الأعراف

[6] –ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي الجزائر أواخر العهد العثماني 1792 ،1830 ، دار البصائر الجزائر ،2012 ،ص..

الصحي الإدارية المتعلقة بمراقبة قدوم ومغادرة السفن والمطبقة على المسافرين و الطواقم ، رغم أن وباء الطاعون كان انتشاره في مدينة الجزائر مرتبطا بوفود السفن من الخارج أو عن طريق المواد الموردة[1].

***الأوبئة:**

– أمّا الاوبئة فقد ذكر ناصر الدين سعيدوني أنها كانت تتكرر كل 10 أو 15 سنة وأنها في بعض الأحيان تستمر لبضع سنوات وما أهم الأمراض التي عرفتها الجزائر طيلة العهد العثماني نذكر الأوبئة التالية:

– وباء عام 1654: المعروف بالكونية والذي قضى على ثلث سكان مدينة الجزائر.

– وباء عام 1664 أدى الى تناقص سكان مدينة الجزائر إلى أقل من النصف وقد أهلك من الأسرى الأوربيين فقط حوالي 1000 أسير.

– وباء عام 1740:أهلك في الأسبوع الأول 1000 نسمة وفي الشهر الأول ما بين 300و400 نسمة في اليوم ودام 3 سنوات[2].

وفي نفس سياق نجد الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتاب الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر فصل الأوبئة إلى ثلاث فترات متعاقبة[3].

– وباء 1784–1788 اعتبر من أطول وأشرس الأوبئة بنواحي مدينة الجزائر فتراجع خلاله عدد سكان مدينة الجزائر إلى 5.000نسمة توفي بسبب هذا الوباء 16.721 نسمة.

ـ وباء 1793–1804 تسبب في هلاك 12.000شخص بمدينة الجزائر ،وانتشر في الأرياف بسبب لجوء الفارين إليها من المدينة، وفي مارس و أفريل 1793 كان الوباء من الحدّة بحيث تعطلت الحياة في مدينة الجزائر.

ـ وباء 1816–1822 تميز هذا الوباء باتساع نطاق انتشاره، وقد استمر هذا الوباء سبع سنين وأفقر الأرياف من سكانها وتسبب في إهمال جزء كبير من أراضي الفلاحة.

كما نجد الأستاذ العربي الزبيري أشار إلى وباء عام 1793 وهو الطاعون الذي أصاب مدينة الجزائر سنة 1973م الذي نقله إليها بحارة قدموا من القسطنطينية، وانتشر هذا الوباء وكانت تموت فيه الكثير من الأشخاص خاصة في عاصمة الشرق الجزائري ،بينما سلك الساحل بفضل التدابير

[1] –نصر الدين سعيدوني ،الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر اواخر العهد العثماني 1791–1830 ، دار البصائر الجزائر 2012 ،ص 436

[2] –ناصر الدين سعيدوني ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،ص 124 . 127

[3] –ناصر الدين سعيدوني ،الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر ، المرجع السابق ،ص 329

الوقائية التي اتخذها حاكم القالة الفرنسي بإذن من الباي وتتخلص هذه التدابير في إغلاق الموانئ ومنع القادمين إليها من الدخول ، وعدم الاتصال بالبواخر الأجنبية المجهولة الأصل ،وبالرغم من جميع هذه المنتجات التي بذلتها السلطات المحلية فإن الوباء لم يتقطع وبقي في تصاعد الى أن بلغ أوجه سنة 1794 .

كما أشار الأستاذ العربي الزبيري إلى وباء 1799 الذي تسبب في قتل الأزيد من 120 شخصا أيضا أخطر الأوبئة مثل ما ذكر الأستاذ وباء 1816 م ،هذا وأشار إلى أنه جاء عدوة من الإسكندرية من سفينة الحجيج بميناء عنابة عندما حلت سفينة الحجيج وعلى متنها جماعة من المصابين بهذا الداء العضال[1] .

الزلازل:

تعرضت البلاد الجزائرية أثناء العهد العثماني على حسب ما ذكره الأستاذ سعيدوني في كتابه دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر إلى سلسلة من الهزات الأرضية حيث نتج عنها الكثير من الخسائر الأرواح والممتلكات مثل زلزال مدينتي الجزائر والمدية عام 1632 م وأهم الزلازل التي تعرضت لها السواحل الجزائرية هو زلزال سنة 1716 م الذي خربت من جرائه مدن شرشال و بجاية والجزائر العاصمة ،أيضا حدوث زلازل أخرى ذكر ناصر الدين سعيدوني منها ، زلزال 1755م زلزال قوي شمل حوض البحر المتوسط الغربي وعُرف لدى المؤرخون بزلزال لشبونة لوقوع محوره بالقرب منها، فلم يبقى منزل لم يتأثر بمدينة الجزائر من هذا الزلزال كذلك زلزال جوان 1760 م الذي خرّب البليدة وأضرّ بالجزائر العاصمة بحيث التجأ السكان إلى الحدائق البساتين، أيضا زلزال 1790م عرف بزلزال وهران ساعد هذا الزلزال على ازدياد الضغط الجزائري على المرسى الكبير ووهران واسترجاعهما من أيدي الإسبان عام 1792. زلزال عنابة 1810 م زلزال مدينتي الجزائر 1818 م وتسببت هذه الزلازل الأخيرة في هدم بعض الدور في مدينة وخراب مدينة البليدة بعدها حدثت هزات أرضية بمدينة الجزائر عام 1830م وهذا ما ترك نتائج سلبية على الوضع الديمغرافي والحالة الصحية للجزائر أثناء العهد العثماني[2].

أيضا ذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتاب الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أنّ البلاد الجزائر عرفت زلازل عنيفة حيث دمّرت البيوت والعتاد الزراعي ، وقضت على البشر والمواشي ومن

[1] –محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص 52 . 53

[2] –ناصر الدين سعيدوني ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،ص 127 . 129

بين أكثر الزلازل قوة زلزال عام 1775م وزلزال 1790م أيضا زلزال 1802م وزلزال 1825م .كما اعتبر الأستاذ سعيدوني أن الزلازل من العوامل التي المساعدة على انتشار المجاعة نظرا للخسائر والدمار الذي تحدثه وما ينجز عنها من إخلال بالأعمال الزراعية[1] .

***المجاعات:**

عرفت البلاد الجزائرية عدّة مجاعات نذكر منها مجاعة عامي 1575-1580 م ضحاياها بلغ 1656 كذلك مجاعة عام 1752 م ذهب ضحيتها 1700 شخص في مدينة الجزائر ونذكر مجاعات عامي 1778-1779 وكذلك مجاعة 1787-1789 التي صاحبها الوباء الجراد.

كما ذكر ناصر الدين سعيدوني أنّ الربع الأول من القرن 19 م تميز بتكاثر المجاعات التي تميزت بها سنوات 1800.1806.1807.1816.1819 وتميزت مجاعة 1800 باختفاء الأقوات كما تميزت مجاعة 1816م بخطورتها اثر انقطاع الأمطار وزحف أسراب الجراد وزوال المزروعات من الحقول هذا ما زاد من شقاء السكان وسوء الحالة الصحية[2].

أيضا ذكر الدكتور ناصر الدين سعيدوني في كتابه النظام المالي للجزائر أنّ البلاد تعرضت لمجاعات مهلكة لسنوات متلاحقة ففي سنة 1800م حدثت مجاعة بالبلاد حيث أعقبها قحط عمّ البلاد سنتي 1806.1807م أيضا ظهور مجاعة سنة 1819م حيث ازدادت الحالة الاقتصادية سوءا وتدهورا[3].

كما ذكر الدكتور جمال قنان في كتابه نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث أنها وقعت مجاعة شديدة وقحط وهول أضر بالبلد ودام الحال كذلك عليهم مدة ثلاثين سنة متوالية سببها الجائحة فإنها قد أصابت الزرع بأكله وعدم حصاده في جهات كثيرة سيما من ناحية الجنوب واعراشها.

كما ذكر الدكتور قنان أنها حصلت مجاعة شديدة أشرف فيها الضعفاء على الهلاك فإنهم تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول والواقع في وطنهم مع الشر والمصائب[4].

كانت ظاهرة المجاعة كما ذكر الأستاذ سعيدوني في كتابه الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني شيئا متوقعا قد لا يدفع إلى التساؤل ولا يتطلب الملاحظة فهي في نظر الكثير من الناس نتيجة حتمية للكوارث الطبيعية من جراد وجفاف و زلازل لا يمكن تجنبها، كما أن الإجراءات

---

[1] -ناصر الدين سعيدوني ،الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر ، المرجع السابق ، ص .....

[2] -ناصر الدين سعيدوني ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،ص 124 . 127

[3] -ناصر الدين سعيدوني ،النظام المالي في للجزائر ، المرجع السابق ،ص .....

[4] -جمال قنان ،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 -1830 ، دار الهومة الجزائر 1987 ،ص 343

الإدارية المتمثلة في الحملات العسكرية الفصلية لاستخلاص الضرائب وإجراءات العزل والنفي والتغريم وما ينجر عنها من حركات تمرد وعصيان فقد اعتاد السكان على هذه الإجراءات فهي لا تثير قلقهم ولا تدفعهم حتى إلى التخوف مما قد لا ينجر عنها من انتشار المجاعة وهلاك أعداد كبيرة من السكان[1].

وقد نجد الأستاذ محمد العربي الزبيري في كتابه التجارة الخارجية للشرق الجزائري اعتبر أن المجاعة إحدى الكوارث الطبيعية ،أيضا ذكر أنها أصابت مقاطعة قسنطينة في الفترة التي ندرسها فألحق أضرارا كبيرة بسكانها سنة 1619 م وسبب هذه المجاعة مرض أصاب الزرع فأفسده ،ثم جاء الجراد فأتم ما بقي[2].

كما وصف ناصر الدين سعيدوني المجاعة في كتابه الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أنها آفة كبرى فهي لا تحل لوحدها بل تسبق أو تتبع بقليل الكوارث الأخرى، فيسبقها الجفاف وزحف الجراد ،وتفتح الباب أمام الأوبئة وارتفاع الأسعار فزحف الجراد المتكرر والجفاف تعتبر الأسباب والنتائج الرئيسية للمجاعات الكارثية التي حدثت في السنوات 1738.1765.1778. 1779. 1785. 1793. 1 798 . 1804. 1806. 1815. 1819. 1821. 1822.[3].

[1] –ناصر الدين سعيدوني ،الملكية والجباية في الجزائر اثناء العهد العثماني، دار البصائر الجزائر 2012 ،ص 101

[2] –محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ،ص 55

[3] –ناصر الدين سعيدوني ،الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر ، المرجع السابق ،ص 327

***الجانب الثقافي :**

إنّ الثقافة العربية بالجزائر العثمانية كانت لا تختلف عن الثقافة العربية ببقية البلاد الإسلامية في العالم حيث كانت الثقافة في الجزائر عبارة عن التعليم بجميع أنواعه وفنونه ومراحله يرجع إلى تكملة العقيدة الروحية الإسلامية وتكوين الرجل العالم الذي يقوم بأعباء الرسالة المقدسة في المجتمع إذ لم يكن العلماء إذ ذاك مجرد فهاء بل زعماء قادة.

وقد كانت الثقافة في الجزائر بالعهد العثماني تتركز على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد كما كانت معاهد التعليم منتشرة في كامل البلاد مدن وقرى وبوادي وكثيرا ما كانت معاهد التعليم بالبوادي تضاهي معاهد المدن.

وقد كان للعلماء مساهمة فعالة بشكل كبير في نشر العلم والثقافة داخل المجتمع الجزائري العثماني من خلال المؤسسات والمعاهد التي شملت المساجد والزوايا والكتاتيب والأضرحة.

إضافة إلى ذلك فقد كان الحكام العثمانيون يساهمون في تنشيط الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية حيث اعتنى بعض الحكام بالعلماء إعتناءًا كبيرا تجلت مساهمتهم في بناء وإقامة مختلف المؤسسات من مدارس وزوايا وغيرها .

***المراكز التعليمية:**

إذا ما تكلمنا عن المراكز التعليمية بالجزائر في العهد العثماني نجد مجموعة من الباحثين والمؤرخين الذين تحدثوا عن الثقافة أو بالأحرى التعليم بالجزائر ومن بينهم أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي في جزئه الأول وتطرق إلى المؤسسات الثقافية في الفصل الثالث وقال "لا تكاد المؤسسات الثقافية في العهد العثماني تخرج عن المسجد والمدرسة والزاوية والمكتبات العامة والخاصة وقد كانت الأوقاف أكبر مؤسسة تغذي المؤسسات جميعا[1].

***الأوقاف:**

ويذكر أبو القاسم سعد الله بأن الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية حيث يعبر عن ارادة الخير في الإنسان المسلم ، وقد تطور في العهد العثماني والوقف أنواع فهناك من يوقف عقارا من أرض أو دكان أو دار، ويستعمل في أغراض كثيرة منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة الفقراء وأبناء السبيل ومن أهم أغراضه العناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة والعناية بفقراء الأندلس او بطلبة خصوصيين كالشبان الأتراك أو العناية بمذهب كالوقف على نشر وتدريس المذهب الحنفي ، ويظهر

[1] –ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج ،1 ، عالم المعرفة الجزائر 2011 ، ص 227

من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية كما أنه مصدر العيش للزوايا والأضرحة وغيرها من المؤسسات الدينية كما أنه مصدر الحياة والنمو للمساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة العلماء والطلبة ،ومن أشهر مؤسسات الوقف الجماعية إدارة سبل الخيرات الحنفية ،وقد قامت بإنشاء الجامع الجديد أو الحنفي المسمى بجامع الصيد البحري ،جامع كتشاوة ،وقد كانت مؤسسة سبل الخيرات ذات نفوذ كبير في المجتمع وقد كانت مكلفة بدفع مرتبات الطلبة وتقدم الصدقات للفقراء وترعى حاجات المساجد ،إضافة إلى ذلك مؤسسة بيت المال التي كان يشرف عليها أمين يسمى بيت المالجي ، وكان الباشا يعين أحد القضاة يساعد أمين بيت المال في إدارة المؤسسة وكانت هذه المؤسسة سياسية ومن جهة أخرى خيرية حيث كانت ترعى جميع أموال اليتامى والأملاك التي تصادرها الدولة.

وهكذا تتضح أهمية مؤسسة الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني فقد كانت تؤدي وظائف عديدة أهمها خدمة الدين والتعليم وقد ظهر من النماذج أن العثمانيين لم يهملوا تماما وسائل نشر التعليم الديني ورعاية المجتمع ولكن هناك عوامل أخرى جعلت الأوقاف غير فعالة في خدمة التعليم وساعدت على نشر التصوف والشعوذة ومظاهر التخلف الاجتماعي ومهما كان الأمر فإن الأوقاف هب التي كانت وراء بناء المساجد للعبادة والتدريس[1].

***المساجد:**

يذكر سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي بأنها كانت أماكن للعبادة ونشر العلم ومنشط الحياة العلمية ،والرابطة بين أهل القرية والمدينة لأنهم يشتركون في بنائه وأداء الوظائف فيه أما عن الدولة فلم تكن مسؤولة عن بناء المساجد ،وتختلف الإحصاءات عن عدد المساجد في المدن الرئيسية كقسنطينة و بجاية وتلمسان ومستغانم ورغم وفرة المساجد فإن بعض المؤلفين قد اشتكوا من عدم العناية بها في هذا العهد وأن عددها لا يدل على العناية بها فقد كان بعضها سيء البناء وبعضها محروما من الأوقاف لتجديده ، وهكذا نجد أحمد بن الساسي البوني يشتكي إلى الباشا محمد بكداش خراب المساجد في عنابة وخلوها من المصلين والعباد ويذكر سعد الله أنه رغم ذلك فهناك مساجد في غير المدن الرئيسية كانت تلفت انتباه الرحالة وتثير إعجابهم حيث أشاد الورتلاني ببعض مساجد قسنطينة والدرعي أعجب بمسجد عين ماضي ،كما أعجب الأوربيين بهندسة بناء المساجد كجامع كتشاوة الذي حول إلى كنيسة ،وقال بأن المساجد في العهد العثماني كانت للمذهب المالكي وقد

[1] -ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ص 227 . 244

امتازت هذه المساجد بالدقة والتألق في المنبر ومعظمها يحتوي على مكتبات موقوفة على القراء والطلبة والأساتذة واختلفت الكتب من كتب القرآن و دينية وصوفية وعلمية ، أما فيما يخص الموظفين فتجاوز عددهم 60 موظف مثل الجامع الكبير بالعاصمة ولكل منهم مرتب خاص من أهمهم المفتي والوكيل والإمامان للصلوات الخمس ومساعدان للمفتي و19 أستاذا مدرسا و 18مؤذن و8 حزابين لقراءة القرآن ويذكر سعد الله أن من أشهر المساجد في غير العاصمة جامع الباي محمد الكبير في معسكر حيث كان قاعدة كبيرة لنشر العلم ينافس بها القرويين في فاس.

يتضح بأن عدد المساجد في الجزائر لم يكن قليلا وقد اشترك في تأسيسها الأهالي والعثمانيون بدوافع دينية محصنة بالإضافة إلى ذلك ما نصت عليه الأوقاف بشأن التعليم كون المدرس متخصصا في التفسير والعلوم الشرعية وقد أعطى ذلك للجزائر العثمانية طابعا إسلاميا موحدا ومظهرا من مظاهر الجهاد ويتجلى ذلك وضوحا في العناية بالزوايا والرباطات من مظاهر خدمة الدين وأهله[1].

***الزوايا والرباطات:**

يقول أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر عن انتشار الطرق الصوفية وكثرة الزوايا المخصصة لها التي كان يعيش فيها المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقون أتباعهم الأذكار ومبادئ الدين فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار والأتباع ويعلم فيه الطلبة ويسرع الناس لهذا المركز فيكبر ويصبح اسم المتصوف علما على المكان ،ومن أهمها زاوية عبد القادر الجيلاني، زاوية سيدي محمد الشريف، زاوية سيدي الكتاني .

كما كانت للعائلات الكبيرة زوايا مثل زاوية أولاد فكون ،أولاد جلول ،وزوايا خاصة بالأتراك و الكراغلة ويذكر أبو القاسم سعد الله إن الزوايا كان لها دورا إضافي بالنسبة إلى وظيفتها الدينية وهي التعليم وتنوير العامة حيث كان نشر التعليم بجميع مستوياته ومن أهمها زاوية أولاد فكون في قسنطينة وزاوية مازونة ، وقد كان للزوايا أوقافها ويختلف موظفو الزاوية عن موظفي الجامع في كثير من الوجود حيث أن المسؤول الرئيسي على الزاوية في العادة هو مؤسسها او المرابط نفسه وفيها يستقبل المريدين .

[1] –ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ص 245 . 262

وقد ذكر سعد الله عن الربطات وهي تشبه الزوايا من بعض الوجوه فهي مثلها في خدمة الدين والمجتمع ، وهدفها خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام مع أداء مهمة العلم أيضا فكان الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت وقد لعبت دورا كبيرا إذ كانت قلاعا من جهة وزوايا ومدارس متنقلة[1].

***المدارس والمعهد العليا:**

يتحدث أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي في فصله الثالث عن المدارس والمعاهد بحيث كثرت المدارس الابتدائية في الجزائر وهذا ما جعل الجزائر خلال العهد العثماني تتميز بانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان، وكانت الأوقاف والصدقات تلعب دورا هاما في انتشار المدارس ونشر التعليم، وكانت المدارس المنتشرة في قسنطينة في العهد الحفصي وظلت في العهد العثماني وقد ذكر الورتلاني بأن تدهورت المدارس بتدهور الأوقاف ،غير أن صالح باي الذي حكم في آخر حياة الورتلاني اعد بناء المدارس وأوقافها حيث أنه كان في قسنطينة بعده وجود مدرستان ثانويتان ، أما عن وظيفة المدرسة الابتدائية كانت هامة تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وهي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وإعطاء الطفل رصيدا من المعارف إلى غاية خروجه منها عندما يبلغ 14 سنة.

ونذكر مجموعة من مدارس تلمسان ،المدرسة القشاشية بالجزائر والمدرسة المحمدية في معسكر والتي أسسها الباي محمد الكبير فاتح وهران ،ويبدو أن المدرسة كانت في درجة ثانية بالنسبة للجامع أما مدرسة القشاشية كان لها أهمية كبيرة في نشر التعليم ولاسيما التعليم العالي إضافة إلى هذا فقد جعل الأندلسيون من الزاوية التي أسسوها مدرسة عليا وكان الوقف يغطي حاجة المدرسة وقد عرفت مدارس الأندلسيون بإجادة التدريس وحسن التربية.

ويذكر الأستاذ سعد الله بان قسنطينة من أكثر المدن عناية بالمؤسسات العلمية منها المدرسة الكتانية التي أنشأها صالح باي وخصص لها أوقافا كبيرة شملت الأساتذة والطلبة وكانت تنشر تعليما في المستوى الثانوي والعالي إضافة إلى ذلك مدرسة الخنقة ومدرسة مازونة وكانت مقصد طلبة الزيبان ووادي سوف والأوراس و قسنطينة ومن خريجي مدرسو الخنقة أحمد التليلي ،أما مدرسة مازونة من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني واشتهرت بالفقه والحديث وعلم الكلام[2].

[1] –ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ص 262 .272

[2] –ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ص 273 . 285

***المكتبات:**

يذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي في فصله الثالث بأن الجزائر خلال العهد العثماني كانت في طليعة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات وكانت الكتب تنتج محليا عن طريق التأليف النسخ كما رواه التمغروطي، كما أدى الأندلسيون دورا هاما في تغذية المكتبات الجزائرية الخاصة والعامة .

ويمكن تقسيم المكتبات في الجزائر إلى عامة وخاصة فالعامة في تلك المكتبات المكلفة بالمساجد والزوايا والمدارس ،أما الخاصة فكثيرة وليس من السهل حصرها مثل مكتبة آل فكون والتي أصبحت مضرب الأمثال بعد الاحتلال الفرنسي وهي المكتبة المعروفة باسم حمودة الفكون أما الكتب التي كانت في المكتبات تمثلت في كتب التفاسير والقراءات والأحاديث النبوية وشروحها وكتب الفقه وأصوله ،وكان وقف الكتب يتم بنفس الطريقة التي تتم بها الأوقاف الأخرى .

ولكن مصير المكتبات كان غير آمن فقد ضاع الكثير منها بسبب الحروب والأوبئة والتي أدت إلى بعثرتها وسوء التصرف بالمكتبات ،وكان ذلك من أقسى ما أصاب الكتب ،وقد أخبرتنا التقارير الفرنسية المكتوبة غداة الاحتلال أن أهم المكتبات العامة في قسنطينة كانت في المساجد والزوايا وأشهر المكتبات الخاصة هي مكتبة الشيخ الفكون ومكتبة باش تارزي ومكتبة ابن عيسى وقد تحدث دبلان عن مكتبة باش تارزي أنها أقل أهمية من مكتبة الفكون ولكنها كانت تضم أكثر من 500 مخطوط أغلبها في الفقه والدين .

وقد ختم سعد الله حديثه عن المكتبات بالإشارة إلى أهمية بعض المكتبات الريفية المتفرقة في أنحاء البلاد مثل مكتبة ميزاب ،ومكتبة زواوة و بجاية و ورقلة ...الخ ومن يقرأ الورتلاني يدرك أهمية المكتبات ووفرتها في الجزائر حتى في المناطق النائية ، غير أن المكتبات ليست الا وسيلة لنشر التعليم وشحذ أذهان العلماء والمدرسين[1].

فبالإضافة إلى الأستاذ سعد الله نجد الإعمال الكاملة للشيخ المهدي أبو عبدلي في كتابه الحياة الريفية بالجزائر حيث تحدث عن مراكز الثقافية بالجزائر نشأتها وتطورها وآثارها وهذا في فصله الأول وذكر بأن أول مدرسة بالجزائر هي مدرسة أبي الإمام بتلمسان والمدرسة الثانية بتلمسان والمدرسة الثالثة بتلمسان ، والتي اتخذت لتعليم مبادئ الدين الإسلامي للأطفال .

[1] –ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ص 285 . 310

أما الحديث عن مؤسسي مدارس تلمسان فنجد معظمهم من كبار علماء أزمنتهم كانوا يشاركون في المناظرات العلمية وينسخون الكتب ويؤلفونها ،كما نجد مدرسة القشاش بالجزائر و المدرسة العنانية ومدرسة الجامع الأعظم المالكي والتي شملت مسجد صغير وزاوية خاصة بالعلماء الفقراء ، وكانت هناك مدارس أخر مثل مدارس قسنطينة و بجاية ومعسكر و مازونة ووهران وذكر أبو راس المدرسة المحمدية بمعسكر التي اشتهرت في عهده ،وهذه المدرسة التي أنشأها الباي محمد بن عثمان الكبير و مازونة التي اشتهرت بمعاهدها العلمية التي تخرج منها فضائل العلماء كالحافظ الرصاصي، أبي راس الناصري، محمد بن علي السنوسي وقد امتازت هذه المدارس بنظام خاص كالقيام بضروريات جميع ما يحتاجه الطالب والأستاذ مدة الدراسة ثم السيرة التي تشترط في الطلبة والمواظبة على الدروس وان لم تكن هناك امتحانات إلا إن الأساتذة كانوا يجيزون طلبتهم حسب استعدادات الطالب وتحصيله .

وقد ظهرت في الجزائر معاهد لا هي مساجد ولا هي مدارس لها نظام خاص شبيه بالمدرسة أما من حيث الدراسة فكانت مسجدية والمواد التي تدرس فيها بلغت ما كان يدرس في جامعتي الزيتونة والقرويين وكانت مشهورة بالتخصص في الفقه والتوحيد[1].

وأما ناصر الدين سعيدوني في كتابه ولايات المغرب العثمانية (الجزائر ، المغرب ، تونس ، طرابلس ، الغرب) في مبحثه الرابع والذي خصصه للوضع الثقافي ونوعية الحياة الروحية والفنية بالجزائر بحيث قال "ارتبط الوضع الثقافي عامة والحياة الفكرية خاصة في الجزائر بالمؤسسات التعليمية تقوم على الكتاتيب والمدارس والمساجد والزوايا التي كانت تنتشر في المدن والأرياف وتميز بعضها ببرامج ذات مستوى عالي تمكن الطالب الحائز على إجازة شيوخها من معرفة معمقة بالعلوم الدينية والعلوم اللغوية والمعارف العلمية ،وقد ذكر الأستاذ سعيدوني أن ما اشتهر من المدارس والزوايا بالبلاد الجزائرية ما كان موجودا بمدينة الجزائر (الجامع الكبير وكشتاوة والقشاشين وزوايا الأندلس الشرفة وسيدي عبد الرحمان) و قسنطينة وتلمسان (مدرسة الجامع الأعظم) و مازونة ومعسكر (المدرسة المحمدية) بجاية مدرسة سيدي التواتي والبليدة وملیانة والقليعة بالإضافة إلى الزوايا الكبرى بالريف وفي طليعتها زوايا بلاد القبائل التي كان عددها لا يقل عن أربعين زاوية في طليعتها زوايا سيدي عبد الرحمان البلولي وسيدي محمد بوقبرين وسيدي علي بن الشريف وسيدي أحمد بن إدريس وسيدي منصور والشيخ وأعراب وأولاد مصباح وكذلك زوايا الصحراء (بوسعادة وسيدي خالد وبسكرة وسيدي عقبة و طولقة وعين ماضي و تماسين)،وقد عملت هذه المؤسسات التعليمية من مدارس زوايا سواء منها ما

[1] -الشيخ المهدي لأبو عبدلي ، الحياة الثقافية بالجزائر ،عالم المعرفة ، الجزائر 2013 ،ص ص25 . 44

كان موجود بالمدن والأرياف على نشر المعارف الميسرة والثقافة الدينية في أوساط العامة فقامت بتحفيظ القرآن الكريم وبتلقين أمور العبادة مما حد من ظاهرة الأمية وشكل ثقافة أصيلة تستند إلى الروابط الروحية وتماسك البنية الاجتماعية وهذا ما أثار انتباه الفرنسيين عند احتلالهم الجزائر سنة 1830 م فقد ورد في تقاريرهم "إن عدد الجزائريين الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة يفوق ما كان موجودا في الجيش الفرنسي نفسه الذي كانت نسبة الأمية به تقدر ب45 بالمائة.

وقد سمحت هذه المدارس والزوايا بالجزائر بتخريج مجموعة متميزة من الكتاب والفقهاء ت ولو الخطط الدينية والوظائف التعليمية بالمدن جلهم من المذهب المالكي وبعضهم بالمدن الكبرى من المذهب الحنفي[1].

كما تكلم مبارك الميلي عن الحياة الثقافية في العهد العثماني في كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث في الباب الخامس من الكتاب بحيث ذكر ان الحياة الثقافية بالجزائر العثمانية تميزت بطابعها الإسلامي الذي يربط ربطا متينا بين مختلف السكان حتى يشعروا بانتمائهم لبلد واحد وأمة واحدة وعندما نتحدث عن الطابع الإسلامي للثقافة فليس المقصود هو المحتوى الديني لهذه الثقافة فقط ، المقصود المحتوى الحضاري بما فيه من تعليم وتنظيم ثقافي وقضائي وعلاقات اجتماعية وفكرية .

وقد ذكر مبارك الميلي بان المدارس كانت منتشرة في المدن مثل الجزائر وتلمسان والمدية و قسنطينة وهي مدارس كانت تعيش من موارد الأوقاف وهذا عدا الزوايا التي تشرف على تسييرها الطرق الصوفية والتي كانت تضمن للطلبة نظاما داخليا يعفيهم من تكاليف ونفقات المأوى والملبس، وقد لعبت الزوايا دورا أساسيا في نشر الثقافة في الأرياف فأوحدت بذلك نوعا من التوازن بين الريف والمدينة ،وقد كان التعليم أقل نسبة منه في المدن ومهما يكن فقد أدى نظام الأوقاف إلى إيجاد نوع من الوحدة الثقافية لأنه كان المورد الأساسي للمدارس القرآنية والمعاهد والمساجد.

وقد لاحظ مبارك الميلي بأن الأتراك لم يكونوا معتنين بالثقافة بحيث أن عنايتهم بالحرب، وقد أدرك بأن هذا الرقي وهذا الازدهار الثقافي حققه الجزائريون بأنفسهم مدفوعين لذلك بدافع شعوري منبثق من أعماق الشعب ، كما عرفنا السبب الذي جعل هذه الثقافة تظل سطحية في أغلب الأحيان رغم انتشارها[2].

[1] -ناصر الدين سعيدوني ، ولايات المغرب العثمانية (الجزائر. تونس .طرابلس الغرب) ،ط2 ، دار البصائر الجزائر 2013 ،ص ص 145 . 141

[2] -مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص 317 . 318

كما نجد رشيدة شدري معمر في مذكرتها العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر ترى بأن الثقافة في الجزائر العثمانية كانت دينية أكثر منها أدبية فانصبّ اهتمام العلماء على الفقه والتفسير والحديث وهي الميزة التي صبغت الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني فلقد سيطر على الحياة الثقافية التصوف والدروشة والشروح، إضافة إلى أن العثمانيون كان انشغالهم منصبا على التجارة وجمع المال وليس العلوم فبعد استقرارهم عملوا على تعزيز الجيش لصد العدو لذا ركزوا اهتمامهم على القرصنة والإتاوات والاحتكارات التي أخذت الجانب الأوفر من العناية، كما كان عدم فهمهم اللغة العربية حال دون اهتمامهم بالأدباء كاهتمامهم برجال الحرب.

أما عن مراكز التعليم فقد تميزت بتعددها في الحواضر أوفي الأرياف .

أ– **الكتاتيب:** هو تصغير لكلمة مسجد كانت بمثابة مرحلة التعليم الأولى أو المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر ،ويسمى في الريف الشريعة لأنه تدرس به الشريعة أما في المدينة المسيد وحسب بوعزيز فإنها أسست لتجنيب المساجد ضوضاء الأطفال وكانت منتشرة في كامل البلاد هذا الذي أدهش الفرنسيين عند احتلالهم الجزائر، وقد خصص الكتاب لحفظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب وهذا في الحواضر أما الريف فيلتحقون بالزوايا لإكمال دراستهم الثانوية .

ب– المساجد: كانت المهد الأول للتعليم، وقد كانت المساجد أماكن لأداء الصلاة وتحفيظ القرآن والتعليم معالجة مشاكل الناس إضافة إلى التحريض على الجهاد ضد العدو، وقد كانت المساجد بمثابة الرابطة بين الأهالي في الريف أو المدينة فلا نكاد نجد قرية أو حي في المدينة من دون مسجد وقد كان بناء المسجد من المبادرات الفردية لان الدولة لم تولي الاهتمام ببناء المساجد وما كان يقومون به من تشييد المساجد وحبس الأوقاف لها من مالهم كان إلا تعبيرا عن واجبهم الديني ومن أهم الجوامع الجامع الأعظم في قسنطينة وجامع بجاية وتلمسان وقد كان الجامع الأعظم في الجزائر مركزا للنشاط الديني والقضائي وكان مقرا للمفتي المالكي والمجلس العلمي ومنبرا للمناظرات بين العلماء وكسب ود السلطة عند البعض كما مثّل منبرا أساسيا معارضا للسلطة أواخر العهد العثماني ولكن رغم وفرة المساجد إلا أن بعضها كان متدهورا وبعضها ليس له أوقافا لصيانته فنجد احمد الساسي البوني يشتكي خراب مساجد عنابة للداي محمد بكداش خربت "المساجد وقلّ فيها المساجد"[1].

[1] –رشيدة شدري معمر ،العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر ، ماجيستير تاريخ حديث ،2005 – 2006 جامعة الجزائر ،ص ص 50 54 .

ج– الزوايا: احتلت الصدارة بين مراكز الثقافة والتعليم خاصة بالأرياف وقد مثلت الزاوية المسجد والمدرسة في آن واحد فهي مقر للعبادة والدراسة كتدريس علوم الدين والفقه والقراءة والكتابة إضافة إلى أنها مأوى لعابري السبيل ، وقد جمعت الزاوية في تعليمها بين التربية الروحية والعسكرية كونها مبنية على نشر الدعوة الصوفية والتهيؤ للجهاد فهي بديل متطور للرباط وكان من مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الزوايا في كامل أنحاء الأرياف لافتقارها مؤسسات التعليمية الأخرى ومن أهم الزوايا نجد زاوية عبد الرحمان الثعالبي ، زاوية الولي دادة زاوية عبد القادر الجيلالي. وقد عملت الزوايا على تحفيظ القرآن الكريم، نشر التعليم، و الإسلام كما كانت مخازن للكتب والمخطوطات وساهمت في إزالة الفوارق الاجتماعية وحاربت السلطة المستبدة[1].

د– المدارس: لقد عرفت انتشارا واسعا خلال العهد العثماني الأمر الذي أذهل كل من زار الجزائر خلال العهد العثماني من كثرة مدارسها وقلة الأمية بين سكانها، وقد كان تعيين المدرسين بها من طرف الداي باقتراح من مدير الأوقاف وأغلبهم يجمعون بين التدريس والإفتاء والقضاء ، وقد وجدت المدارس في مختلف حواضر الجزائر فكانت مدينة الجزائر وحدها تحتوي على 229 مدرسة يدرس بها 5583 تلميذ منها المدرسة القشاشية التي أشاد بها أبو راس الناصري واعتبرها مركز للتعليم العالي، كما عرفت مدارس تلمسان إشعاعا ثقافيا خاصة في عهد صالح باي الذي أسس مدرسة الكتانية عام 1776 م لتعليم مختلف العلوم ،ومدارس في الغرب الجزائري التي استفادت من إصلاحات الباي محمد الكبير حيث أسس المدرسة المحمدية بمعسكر ،بالرغم من كثرة المدارس في الجزائر إلا أنها كانت تفتقر لمؤسسة التعليم العالي.

هـ– الرباط: وقد كانت الربطات عبارة عن معاهد دينية تشبه الزوايا وكان الهدف من تأسيسها هو الجهاد حيث يكون الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت وكانت متفتحة على كل التعاليم الصوفية والمجاهدات الروحية وجل مؤسسيها كانوا علماء دين كما أنها مقصد لبعض العلماء بغرض التعلم والتعليم ومن مشجعي الرباط نجد الباي محمد الكبير الذي احي الرباط خلال الفتح الثاني لوهران عام 1792 م حيث جعل التعليم مقتصرا على الرباط وهذا تشجيعا منه للالتحاق به من اجل الجهاد ومن بين العلماء نجد الطاهر بن حواء ومحمد المصطفى بن زرفه والشيخ بوجلال الذي كان يرأسه حيث كانوا يدرسون ويحاربون[2].

[1] –رشيدة شدري معمر ، مرجع سابق ص 54

[2] –رشيدة شدري معمر ، مرجع نفسه ص ص 54 . 61

و– المعمرات: هي عبارة عن معاهد دينية لتعليم القرآن الكريم والعلوم ، انتشرت في منطقة القبائل وحسب بوعزيز فهي تشبه الكتاتيب القرآنية ، وكان لها أحباس وقوانين داخلية محكمة وهو الفرق بينها وبين الزاوية التي تخضع لشيخ الطريقة أو مقدمها بالإضافة إلى مهمة التعليم كانت تأوي المساكين وتقدم لهم المساعدات.

ي– المكتبات: لتسهيل عملية المؤسسات السابقة ضمت الجزائر عددا هاما من المكتبات التي تحتوي العديد من الكتب التي كانت إما إنتاج محلي عن طريق التأليف أو النسخ أو وصلت إلى الجزائر من مصر والحجاز والأندلس وقد اشتهرت كل من تلمسان معسكر و مازونة منها المكتبة التي أوقفها الباي محمد الكبير على المدرسة المحمدية بمعسكر ،إضافة إلى المؤلفات المحلية خاصة في عهد صالح الباي الذي شجع العلماء وجلب الكتب وحبس الأوقاف على الطلبة فغنى مكتبات الجزائر كانت نتيجة انتشار حركة التأليف والنسخ بالإضافة إلى الكتب التي كانت تصل إليها عن طريق الحجاج والعلماء الرحالة، وهناك كتب وصلت عن طريق العثمانيين أنفسهم كما استفادت الجزائر من تراث الأندلسيين الذين هاجرُ إلى الجزائر نوعان من المكتبات منها العامة والخاصة ،العامة هي الملحقة بالمساجد والمدارس والزوايا الخاصة تعود إلى العائلات التي نالت شهرة علمية كعائلة الفكون ،أما الكتب فكان معظمها كتب دينية في التفسير والفقه والحديث[1].

وفي نفس السياق أشار عمار عمورة في كتابه موجز في تاريخ الجزائر عن الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية وذكر بأن مدينة الجزائر لوحدها يوجد بها 106 مسجدا منها 92 مالكية و 14 حنفية هذا إلى جانب المدارس الدينية يعلم فيها القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.

وذكر عمار عمورة عن الحياة الدينية وأشار إلى أن اغلب الشعب الجزائري على المذهب المالكي أما الأتراك و الكرا غلة وبعض الحضر فيعتقدون المذهب الحنفي والى جانبهم توجد أقلية يهودية لا تتعدى 01 بالمائة من مجموع السكان لها معابدها الخاصة وتمارس شعائرها الدينية بكل حرية[2].

أمّا العربي الزبيري فيذكر بأن أغلبية الجزائريون مسلمون على المذهب المالكي والإسلام بالنسبة إليهم مصدر يأخذون منهم تشريعاتهم ويبنون عليه علاقاتهم الاجتماعية[3].

[1] –رشيدة شدري معمر ، مرجع سابق ص62 . 64

[2] – عمار عمورة ،موجز في تاريخ الجزائر ،دار ريحانة للنشر ، الجزائر 2002 ،ص 112

[3] – محمد العربي الزبيري المرجع السابق ، ص 48

– علماء الجزائر العثمانية :

إن ظهور العلماء بالجزائر ليس وليد العهد العثماني في الجزائر فظهورهم كان سابق لهذا العهد واعتبارهم فئة متميزة جاءت لسد الفراغ الحاصل كمستشارين ومشرعين ومفسرين وأصبح شعارهم حماة الدين ومصابيح الظلام.

– محمد أبو راس الجزائري:

هو الحافظ أبو راس بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن ناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن جليل الراشدي المولود سنة 1737 م عاش حياة متقلبة لكنها غنية بالتجارب ،تجول في المغرب الأقصى ، مصر ، تونس، الحجاز و بلاد الشام ، كما تحدث إلى بعض حكام الجزائر، تونس و المغرب سكن بعض الحواضر مثل معسكر وعايش الباي محمد الكبير الذي انتعشت في أيامه الحياة العلمية ، أما عن الدراسة فدرس في معسكر على يد الشيخ عبد القادر ألمشرفي ، وفي الجزائر على يد الكثير من رجال العلم ، ومنهم شيخ الإسلام الحافظ المتصوف محمد الصادق أفغول ، وقاضي الجزائر محمد بن جدعون والمفتي أحمد بن عمار ، وبانتقاله إلى معسكر اشتغل بالتدريس في علوم عصره إلى ما يقارب 36 سنة .

أما عن رحلاته فقد انتقل عبر البلدان العربية الإسلامية بهدف الاستفادة ، وقد نشرت رحلته سنة 1990 م تحت عنوان "فتح الإله ومنيته في التحدث بفضل ربي ونعمته" وهي تكتسي أهمية كبيرة ولهذا أصبحت وثيقة جديرة بالدراسة أما الباب الثالث فكان لأسفاره غربا وشرقا ، وفي حين كان الباب الرابع بمثابة إجابات على الأسئلة الموجهة إليه ، والباب الخامس أحصى فيه كل مؤلفاته[1]. وفي ما يخص مؤلفاته لقد شملت إسهاماته الفقه والتفسير والحديث والنحو والتاريخ والأدب وحسب ما أخبر به أحد العلماء القاطنين بتلمسان والذي قال إن تأليفه بلغت مائة وأربعة وثلاثين مؤلفا تحتوي على عدة مجلدات ومن أهم مؤلفاته.

– في القرآن الكريم "مجمع البحرين، ومطلع البدرين ، لفتح الجليل، للعبد الذليل، في التيسير إلى علم التفسير".

– في علم الحديث " الآيات البيانات ، في شرح دلائل الخيرات".

[1]– محمد أبو راس الجزائري ، فتح الإله ومنيته في التحدث بفضل ربي ونعمته (حياة ابي راس الذاتية والعلمية) تح ، محمد بن عبد الكريم الجزائري ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1990 ،ص 11 . 12

– في علم الفقه فنجد منه "درة عقد الحواشي على جيد شرحي الزراقا في و الخراشي" التي تكلم فيها مع كبار العلماء .

– في علم التوحيد والتصوف "الزهد الأكم ،في شرح الحكم"أو فتح الإله في التوصل إلى شرح حكم ابن عطاء الله".

في اللغة نجد "ضياء القابوس على كتاب القاموس" وفي علم التاريخ " زهرة الشماريخ ، في الأدب " النزهة الأميرية ، في شرح المقامات الحريرية".

و وفرة تأليفه دليل على ثقافته الموسوعية التي شملت العلوم الإسلامية والأدب والتاريخ إضافة إلى هذا فقد ترك عدة مخطوطات لم تحقق في معظمها ولم تنشر.

أما عن مجيزيه فنذكر الشيخ المرتضى الزبيدي والأمير الكبير المالك والشيخ عبد الله الشرقاوي (شيخ جامع الأزهر) والشيخ عثمان الحنبلي توفي سنة 1823 م صلى على جنازته السيد احمد الدابجي ودفن بعقبة بابا علي بضواحي معسكر، وقد سميت السنة التي توفي فيها بصابة الشهر من أهم ما قبل فيه وصفه من قبل أبي القاسم الحفناوي بأنه "العلامة المحقق الحافظ"[1].

– عبد الرزاق ابن حماد وش:

هو عبد الرزاق بن محمد المعروف بابن حماد وش الجزائري ، ولد في الجزائر سنة 1695م و سمي بالجزائري كانت أسرته من طبقة الحرفيين إضافة إلى ممارستها التجارة وكانت حرفتهم الطباعة درس في وطنه وتقلد بعض الوظائف الدينية وجاب أقطار العالم الإسلامي بدءا بالحج عاصر أحداثا مهمة في بلاده وفي العالم ،من تطورات سياسية اجتماعية ثقافية أما على المستوى الإسلامي فقد شهد بنفسه الحرب الأهلية بالمغرب الأقصى حتى كاد يذهب هو ضحيتها ،إضافة إلى مشاهدته بعض الحروب بين حكام الجزائر وحكام تونس ،كانت ثقافته ثقافة معاصريه ولكنه انفرد عنهم بالتخصيص في الجانب العلمي ، في حين درس مثلهم العلوم الشرعية واللغوية وأخذ العلم والقراءة والإجازة كان يميل إلى العلوم الرياضية والفلكية فهو صيدلي وطبيب وحاسب وفلكي وفرضي ومنطقي بالإضافة إلى اهتمامه بالنحو والفقه والتصوف والأدب والتاريخ .

[1]– ابو راس الناصري ، المصدر السابق ، ص ص 12 . 16

وقد بدأ رحلته وهو صغير السن حيث حجّ سنة 1161هـ بالبر عبر تونس ، وقد درس على عدة مشايخ في تيطوان وفاس ومكناس وأجازوه ، وعايش الكثير من الثورات السياسية والعادات الاجتماعية والتطورات الاقتصادية في المغرب حيث كتب ووصف كل ما رآه ، تثقف ابن حماد وش على يد شيوخ بلاده وعلماء المغرب وتونس والمشرق ، ففي الجزائر درس على يد الشيخ محمد بن ميمون ، أما في الغرب فقد قرأ على يد محمد بن عبد السلام البناني الفاسي ، وفي تونس فذكر الشيخ محمد زيتونة والشيخ محمد الشافعي الذي التقى به في الجزائر حيث كان هاربا من حاشية محمد باي .

ومن مؤلفاته تأليف في الأعشاب التي لم يذكر عناوينها و إنما قال عنها" فإن الأعشاب المقيدة في تأليفي كلها معروفة عندي "وفي الفلك لم يرد عنوانه ، وفي القوس الذي يأخذ به الأوربيين حركة الشمس لم يذكر عنوانه إضافة إلى تأليف أخرى يطول ذكرها. وتوفي في عمر يناهز التسعين سنة[1].

أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي :

لم يذكر الكثير من المؤلفين زمان و مكان ولادته ، كان متضلعا في الفقه و النحو و الأدب و غيرها من الفنون محققا لجميعها مع طلاقة اللسان و حسن التعبير و سرعة و جودة الخط و الشعر الراقي يرتجل المكتبات في الأمور العويصة و يأتي فيها بالعجب ، و كان له مجلس يحضره أكابر العلماء كالرقاق و غيرهما ولد بفأس بعد انتقال أبيه إليها من تلمسان و أخذ عنه وعن الشيخ ابن غازي وغيرهما من أهل عصرهما ولم يكن في حياة ، زوجه أبوه سنة عشر أو إحدى عشرة وتسعمائة فلما أعرس أطلق القاضي المفتي أبو عبد الله محمد بن عبد الله ليفرني الشهير بالقاضي المكناسي.

تمكن الونشريسي من علوم عصره خصوصا الفقه والنحو والبيان تولى التدريس بتلمسان و من أشهر الكتب التي تدرسها المدونة و فرعا ابن الحاجب ، إضافة إلى أمهات الفقه المالكي كما كان له اهتمام ومشاركة في عدد من العلوم الأخرى كالوثائق والأصول والتواريخ والفرائض بالإضافة إلى فرض الشعر.

ومن مؤلفاته شرح ابن الحاجب في أربعة أسفار ، إضافة إلى عدة خطب بليغة وفتاوى محررة ونظم الكثير من المسائل الفقهية إضافة إلى " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية

[1]- عبد الرزاق ابن حما دوش ، رحلة الحما دوش (لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال) تح ، ابو القاسم سعد الله ، مؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1983 ،ص 9 .10

والأندلس والمغرب " و " إيضاح المسالك على قواعد الإمام مالك " و "المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق " و اختصاره "الفائق في الوثائق" .

أما وفاته فقد توفي قتيلا في ذي الحجة سنة خمس و خمسين وتسعمائة[1].

الشيخ الحسن الورتلاني :

هو الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف ،ولد عام 1713 م بقرية أنو بجوار قرية بني ورتلان و حفظ القرآن الكريم في زاوية جده ثم تفرغ لدراسة علوم الفقه والحديث والنحو والصرف والعروض على والده ، وبعد أن استنفذ من عند شيوخ القرية من العلوم والمعارف شدّ الرحال إلى غيرها داخل وخارج الجزائر لطلب العلم ، فزار بجاية و الجزائر العاصمة و تلمسان وملیانة و قسنطينة للتبرك بالأولياء الصالحين ، وزار تونس على أمل الذهاب إلى الحج وقد أتاحت له هذه الرحلات أن يوسع ثقافته وتجاربه ويحصل على زاد ثقافي واسع وتصدى للتدريس والتعليم في مسقط رأسه ببني ورتلان .

وقد كتب الورتلاني و ألف العديد من المؤلفات في الفقه والحديث والتصوف والنحو والبلاغة و أشهرها " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" المعروفة بالرحلة الورتلاني ، وشرح على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمان ألأخضري في التصوف ، وشرح على الصغرى للشيخ السنوسي التلمساني ، بالإضافة إلى مؤلفات وشروح أخرى في المناسبات المختلفة ، وشرح كتاب الصلاة ، و أهم هذه المؤلفات كلها كتاب الرحلة .

توفي عام 1779-1780 بمسقط رأسه أنو و دفن في مقبرتها وما يزال قبره قائما يزوره الناس باستمرار ويتبركون به ويتذكرون ماضي هذه البلاد المشرق ، ويذكر بوعزيز أنه قام بزيارته خلال الاحتفال بالذكرى الثلاثين لوفاة حفيده الشيخ العالم الفضيل الورتلاني في شهر مارس عام 1989م[2].

[1]- ابي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ اب القاسم الديسي ابن سيدي ابراهيم الغول ، تعريف الخلف برجال السلف ، بيرفونتانة الشرقية ،1906 ، ص 249

[2]- يحي بوعزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ط1 ،ج1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1995 ،ص ص 44 . 47

عبد الرحمان الأخضري :

هو العلامة الإمام والمصلح الديني ، والمقدام المحقق الشيخ عبد الرحمان بن سيدي الصغير بن محمد بن عامر ألأخضري ولد المترجم حوالي سنة 1514 م و نبغ بنوع باهرا في العلوم الإسلامية ، وقد كان ألأخضري من المبكرين في التأليف و كل من وقف على تأليفه وأسلوبه في نظمه ونثره علم أن الرجل كان متضلعا من العلم و أنه ذا خبرة تامة بفن التعليم البيداغوجي.

كما طلب العلم في قسنطينة على يد الشيخ محمد الوزان و أخذ العلم بتونس على مشايخ جامع الزيتونة ، كان عالما عاملا يؤلف المتون ويشرحها ويجمع الكتب ويفهمها و قد استفادت المشرق والمغرب من كتبه التي وضعت عليها شروح و الحواشي.

وأما عن مؤلفاته لم يكن له في التصوف غير القدسية وأرجوزة في طبيعة النفس ،إضافة إلى أرجوزة في السلوك الصوفي " الجوهر المكنون "في البلاغة وشرحه و" الدرّة البيضاء " في الحساب والفرائض وشرحها "السراج المنير" في الفلك ومقدمة في "فقه العبادات" و "السلام المرونق" في المنطق وشرحه.

وقد توفي 1574 م ودفن بضريحه المشهور به إلى الآن بقرية بنطيوس إحدى قرى الزاب الشهيرة في بسكرة[1].

أبو مهدي عيسى الثعالبي :

العلامة الإمام المتنكر جار الله أبو مهدي عيسى بن محمد بن الثعالبي نسبة إلى ثعالبه متيجة بالسهل الجزائري ، ولد المترجم رحمه الله بموطن زواوة و به نشأ وحفظ القرآن الكريم و أتقن من العلم ما كان متداولا ، وكان من أبرز مشايخه فيها عبد الله الصادق كما لازم مجالس الأستاذ الكبير زعيم العلماء الشيخ أبي الحين بن عبد الواحد الأنصاري ، وقد أخذ الثعالبي الحديث وبعض الطرق الصوفية على معظم العلماء في وقته فعندما كان بالجزائر أخذ عن شيخه سعيد قدوره ، ولما كان في مصر أخذ الطريقة الشاذلية وفي الحجاز أخذ الطريقة النقشندية على الشيخ صفي الدين القشاشي المدني.

وله من المؤلفات كتاب المقاليد الأسانيد ذكر فيه من شيوخه المالكية و أسانيد رواة الإمام أبي حنيفة و فهرست البابلي و كنز الرواة ويوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الزاوية الحمزية جنوب مدينة مدلت من إقليم تافيلالت بالمغرب الأقصى إضافة إلى هذا نجد "جز في مضاعفة ثواب هذه الأمة" ، كما ينسب إليه " إتحاف ودود وإسعاف بمقصد محمود في أسانيد الإمام مالك في الفقه .

[1]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج1 ، دار الأمة ،الجزائر 2009 ، ص ص 79 . 82

وقد توفي رحمه الله بمكة المكرمة يوم الأربعاء من شهر ديسمبر 1669 م ودفن آخر النهار بالحجون ، جبل بمعلاة مكة عند قبر الشيخ محمد بن عراق[1].

سيدي محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني:

خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة المحقق الفهامة القدوة الصالح السني أحد أذكياء العالم و أفراد العلماء الذين أولو بسطة في العلم والتقدم والنسبة في الدين المشهور بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ،ولد بتلمسان ونشأ بها وحفظ القرآن في صغره ورحل إلى بجاية فدرس بها العلم و أخذ عن مشايخها وتدرب على يد أبي العباس الوغليسي.

ومن مؤلفاته البدر المنير في علوم التفسير و تفسير الفاتحة في ورقة و مصباح كالأرواح في أصول الفلاح ، كتاب عجيب في كراسين أرسله إلى الإمام السنوسي والشيخ ابن غازي فأثنيا عليه ، وشرح مختصر خليل على طريق المزج سماه مغني النيل ، ومفتاح الكنوز سمعت أنه شرح ثلاثة أرباع المختصر وله إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل ، وله تأليف في المنهيات ومختصر تلخيص المفتاح وشرحه ومفتاح النظر في علم الحديث فيه أبحاث مع النووي في التقريب وشرح جمل الخزنجي في المنطق . و عدة قصائد منها القصيدة الميمية على وزن البردة ورويها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد أدركته المنية بتوات وتوفي رحمه الله سنة 1504م[2].

شهاب الدين أبو العباس بن محمد المقري التلمساني:

علامة الجزائر وأديبها الكبير ومفخرة المغرب العربي الإمام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني واشتهر بيت المقري هذا بتلمسان منذ أن انتقل إليها أعضاء هذه الأسرى الأولون من مقرة و بها ولد المترجم حوالي 1578م ثم توجه إلى فاس ثم القاهرة أخذ عن عمه الشيخ سعيد المقري الفقه والحديث وروى عنه الكتاب والسنة وقرأ للبخاري سبع مرات واخذ عن بابا أحمد التنبكتي والقصار واحمد بن القاضي الفاسي و غيرهم.

أما تلامذته فنجد عيسى الثعالبي وعبد القادر الفاسي وغيرهم ، أما من مؤلفاته فقد ألف أكثر من 28 تأليف من أشهرها "نفح الطيب" و"أزهار الرياض" و"إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة ".

ولقد كان المقري مبجلا محبوبا من علماء بلده وهذا ما تبينه مؤلفاته كأزهار الرياض وتوفي في جانفي 1632م ودفن بقرافة الجاورين بمصر .

---

[1]- عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص 170 . 173

[2]- بن مريم المليتي المديوني التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ،تح ، محمد ابن ابي شنب ، المطبعة الثعالبية الجزائر ، 1908 ص ص 90 . 94

الفصل الثالث

الجانب الاقتصادي

المبحث الأول: الصناعة

المبحث الثاني: الزراعة

المبحث الثالث: التجارة

إذا ما تكلمنا عن النظام الاقتصادي في الجزائر خلال العهد العثماني نجد تطورات واختلافات من باحث إلى آخر وهناك العديد من الكتاب الجزائريين شرحوا وأشاروا إلى النظام الاقتصادي بكل جوانبه الزراعة والصناعة وكذا التجارة ومن بين الكتاب نجد ناصر الدين سعيدوني و محمد العربي الزبيري وأبو القاسم سعد الله وغيرهم.

- **الصناعة:**

ذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني عن النشاط الصناعي أنه ظل متواضعا بالإيالة الجزائرية لا يتعدى الصناعات المحلية اليدوية ،فالصناعة المحلية عرفت نشاطا وحيوية بعكس الصناعات المحلية اليدوية فإن الصناعة المعدنية او النقيلة لم تشهد تطورا ملموسا لا من حيث الكمية ولا من حيث الكيفية .

وقد ذكر الاستاذ ناصر الدين سعيدوني أن الصناعة الجزائرية في الفترة التركية بفرعيها التقليدي أو التحويلي تميزت بخصائص وصفات تتلخص في عدة نقاط

أ-اعتمدت الصناعة الجزائرية على المواد الأولية المتوفرة بالبلاد كالصوف والجلد والخشب .

ب- اتجهت الصناعة المحلية البسيطة في البوادي إلى تلبية الحاجات الضرورية للعيش ، بينما الصناعة التقليدية في المدن حافظت على طابعها عبر توارثها من جيل إلى جيل .

ج- خضعت صناعة المدن الكمالية لتحكم ومراقبة النقابات المهنية بعد ان تطورت هذه النقابات المهنية حسب تقاليد متوارثة .

د- اضطرت الصناعة الجزائرية إلى رفع أسعار بضائعها لتغطية الالتزامات المالية والضرائب الثقيلة المفروضة عليها[1].

ي- أضرت منافسة المصنوعات المستوردة بالمصنوعات الجزائرية وقد ساعد على هذه المنافسة غلاء أسعار المنتوجات الجزائرية وعدم انتهاج الحكومة سياسة الحماية الجمركية[2].

كما ذكر مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث في جزئه الثالث أن انتشار أسلوب الرحيل جعل الصناعات اليدوية في المدن تفقد أسواقا هامة ، إن موجات الهجرة من الأندلس

[1]- نصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني** ، المرجع السابق ، ص ص 33 ، 35

[2]- نصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني** ، المرجع السابق ، ص 36

إلى شمال إفريقيا حملت للجزائر نشاطات هامة مثل صناعة الحرير وصباغة الذهب وصناعة النسيج و صناعة الساعات و الصناعة الخزفية[1].

أيضا ذكر الأستاذ عمار عمورة في كتابه موجز في تاريخ الجزائر عن الصناعة أنها لم تكن متطورة فارتكرت عن الصناعات اليدوية مثل صناعة النسيج و الأحذية و الدباغة و السروج و الخشب و الزجاج و السفن و السلاح والبارود ، كما ذكر أنه يوجد بمدينة قسنطينة ثلاثة وثلاثين مصنعا لدباغة الجلود و مائة وستة وسبعين معملا للأحذية وفي تلمسان كان يوجد خمسمائة مصنعا لصناعة النسيج و الخشب و الجلد و الحديد.

وقد كانت الصناعة المحلية منظمة تنظيما دقيقا بحيث كان الحرفيون منخرطين في نقابات حسب التخصص ، فنجد شارع الدباغين و شارع النجارين و شارع الحدادين.

كما أشار الأستاذ عمار عمورة ان الأندلسيين من خلال هجرتهم إلى الجزائر جلبوا معهم العديد من الحرف المتطورة في الميدان العمراني و الفلاحي أو الصناعي فأنشأوا عدة مصانع للنجارة و الحدادة و الجلود و المجوهرات و النسيج و الخياطة و الصوف و الحرير و الشاشية و القندورة و البرانيس ذات جودة عالية تكفي لسد حاجيات السكان[2].

أيضا ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الحديث أن الصناعة في الجزائر خلال العهد العثماني قد شهدت بعض التقدم أيضا ، فلم تكن هناك مناجم بالمعنى الحديث و لكننا نجد صناعات الحديد ، كما نجد صناعة الملح في منطقة أرزيو و تميز سكان منطقة جرجرة بالصناعة فكانوا يستخدمون الطواحين لصناعة الزيت ويرسلون به إلى مدينة الجزائر عن طريق ميناء بجاية أو عن طريق البر ، وكانوا يصنعون مواد البلاتين ويعرفون طرق استخراج الحديد من الأرض ، كما كان بعضهم يصنعون الأشياء الخشبية والأساور وآخرون يصنعون الأقمشة القطنية.

كما أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى أهم المدن الصناعية وهي العاصمة و تلمسان و مستغانم وقسنطينة ، فكانت تلمسان مركزا هاما لصناعة الصوف كالأغطية والزرابي ، وكانت مستغانم تصنع الزرابي ، أما العاصمة فكانت تمتاز ببعض الحرف ولاسيما المصنوعات التقليدية كالأساور المصنوعة من قرون الغنم أما قسنطينة فكان إنتاجها شبيها بإنتاج العاصمة.

[1]- مبارك الميلي: المرجع السابق ، ص ، 309

[2]- عمار عمورة: المرجع السابق ، ص ، 106

أيضا ذكر أبو القاسم سعد الله أن المصنوعات الجزائرية لم تكن تستطع منافسة المصنوعات المغربية والتونسية منها ، والذين يتولون الصناعة التقليدية في المدن الجزائرية كانوا عادة من الحضر النازحين من الأندلس أما اليهود فقد كانوا محتكرين لصناعة الاحجار الكريمة وكانت تونس وقتها تمول السوق الجزائرية بالشاشية وبعض المواد الاخرى ، أما المغرب فقد كانت تمول السوق المحلي في الاحذية والأقمشة والمصنوعات الجلدية[1].

نجد ناصر الدين سعيدوني في كتابه الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر ذكر أن الحرف تمثل نشاطا اقتصاديا مهما يرتبط بالإنتاج الزراعي والرعوي وباستغلال المعادن المتوفرة محليا ، ويلبي النشاط الحرفي حاجيات الارياف لا يستهان به من حاجيات المدن ، وأشار الاستاذ أن النشاط الحرفي يشمل عدة قطاعات من بينهم:

***الأسلحة :**

هي صناعة محدودة من حيث الانتشار ، تدعم وجود التسليح الذي يقوم به الوجاق خاصة فيما يتعلق بالبارود والبنادق والمدافع ، وتنحصر صناعة الأسلحة بالقرب من باب الواد فيما يعرف بدار النحاس التي تضم فرنا واحدا متين البناء ، ولم تشهد صناعة الأسلحة تطورا يذكر بسبب ندرة المواد الأولية والمعارف التقنية المحدودة في مجال تهيمن عليه الأمم الأوربية .

***صناعة الخزف:**

تشمل عددا من الأدوات ذات الاستعمال اليومي مثل جرار و أوعية الماء والحليب والزيت والطناجر التي تحضر فيها فطائر الخبز والقدور والصحون الخاصة بالكسكسي والأواني والاواني التي تخزن فيها المؤن ، وتصنع هذه الادوات النساء اللائي يستعملن في ذلك الطين المصفى ، وتتخذ القطع صورتها بالضغط والتشكيل بواسطة الأصابع أو الأيدي وبالاستعانة بأداة خشبية مسطحة وتصقل مساحة الإناء بواسطة حصاة ملفوفة ، واعتادت النساء على تزيين بعض الادوات الخزفية باللونين الأحمر والأسود[2].

[1]- أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث** ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1982 ، ص 155 ، 156

[2]- نصر الدين سعيدوني: **الحياة الريفية بإقليم بمدينة الجزائر** ، المرجع السابق ، ص 271

***الخشب والفحم :**

لا يقبل سكان أرياف دار السلطان على صناعة الأدوات الخشبية وفي المناطق التي يحول فيها الخشب ويستعين الصناع في العادة بآلتي المدور ذي الدواسة والمدرة ، ويغلب على الأثاث الذي يباع في أسواق المدن أو الذي يقتنيه الُرياء من أفراد القبائل نظام الزخرفة البارزة المسطحة المنقوشة في لوح خشبي .

***الجلود:**

تحضر وتلون في احواض مقامة بالجهات القريبة من المدن وقد اشتهرت في هذا المجال الحرفيون العاملون في مدينتي الجزائر والبليدة.

صناعة المجوهرات :

هي نوعان المجوهرات الذهبية والفضية التي يصنعها في المدن وصناع ذو أصول يهودية أو اندلسية وتعرف هذه المجوهرات انتشارا بفحوص المدن أما النوع الثاني من المجوهرات فهو ريفي مصنوع من الفضة او النحاس من طرف أفراد قبائل الأطلس أو جماعات الأوطان وتستعمل هذه المجوهرات للزينة ويتميز بعضها بذوق رفيع[1].

***النسيج:**

يستعمل فيه الصوف وشعر الماعز وتستخدم فيه آلات النسيج الكثيرة المنتشرة في بيوت الريف وتخصص أجود أنواع الصوف في الغالب لصناعة النسيج وهي قصيرة ورقيقة وبالأوطان وخشنة بالقيادات ، إلا انها تتميز في كل الحالات بقوتها ومرونتها ، هذا وتوجه الصوف المحضرة بمدينة البليدة لصناعة شاشيات مدينة الجزائر ، ويصنع الأنسجة الموجهة للتجارة صناع مدينتي الجزائر والبليدة المختصين في صناعة الشاشيات والأغطية .

أما نسج الحرير فلا يمارسه اهالي الريف ، وبتفرد به بعض الصناع بمدن الجزائر وشرشال والبليدة الذين أتقنوا صناعة الحياك الحريرية الجميلة .

الطحين والزيت و الصابون و السكر و الملح :

تمثل أهم الصناعات الغذائية وقد استلزم إنتاج المنطقة من الحبوب إقامة شبكة متكاملة من الطاحونات المائية والهوائية بالمدن والأرياف ، وتكفي طاحونات الواقعة خارج المدن لوحدها لتلبية

1- نصر الدين سعيدوني: **الحياة الريفية بإقليم بمدينة الجزائر** ، المرجع السابق ، ص 272

الحاجيات الاستهلاكية ، وقد أقيمت أهمها التي تنتج طحين القمح بالقرب من المدن أو بالأحواش و أهمها طاحونة مائية ببوزريعة سبع طاحونات مائية بالبليدة[1].

عن الصناعة نجد محمد العربي الزبيري ذكر ان الصناعة التقليدية تتمثل في الحرف الممارسة في مختلف مدن الإيالة ، ومن أشهر الصناعات في الجزائر نسيج الزرابي والاقمشة في تلمسان وقسنطينة وفي العاصمة تطرز الملابس ، وكانت توجد أحياء نجارين والحدادين والشواشين والدباغين ، فإن الجزائريين كانت لهم براعة في طرز السروج المذهبة والمفضضة ، وكانت جملة من الهيئات التي كانت تنظم حسب الحرف التي تشتمل علها ونذكر ما يلي:

النجارون: مهمتهم صناعة الصناديق والأبواب والنوافذ.

الحدادون: ويتولون صناعة المحارث والمناجل والقواديم.

الجلابون: المختصون في تربية المواشي وتسويقها

الشماقجية: مهمتهم صناعة الأسلحة واصلحها عند الكسر.

وذكر أن الصناعة في الجزائر ظلت بدائية لم تعرف التطور لأسباب اخرى كذلك اهما ذلك الانغلاق على النفس الناتج عن العداوات الأوروبية المستمرة والتعنصر الديني من الطرفين[2].

***الزراعة :**

إذا تحدثنا عن النظام الاقتصادي يجر بنا الحديث التكلم عن الزراعة ولقد كتب العديد من المؤلفين الجزائريين عن هذا بحيث نجد الأستاذ ناصر الدين سعيدوني ذكر في كتابه النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني ان الزراعة كانت هي المورد الرئيسي الذي يؤمن معيشة غالبية السكان حيث ذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني انه يوجد قسما هاما من أراضي الجزائر الشمالية كانوا في الفترة التركية مغطى بالنباتات ، واندثر قسم كبير من هذه الغابات في اوائل القرن التاسع عشر 19 م نتيجة انتشار الحياة الرعوية والاستغلال المفرط.

أما من حيث الانتاج الفلاحي بالإيالة الجزائرية فقد اختصت كل منطقة بإنتاج نوع من المحاصيل حسب ظروفها الطبيعية والمناخية فنواحي وهران ومجانة وقسنطينة اشتهرت بإنتاج الحبوب التي كانت تمثل محصولا رئيسيا معدا للاستهلاك الداخلي والتصدير الخارجي بينما ارتبطت زراعة

- نصر الدين سعيدوني ، **الحياة الريفية بإقليم بمدينة الجزائر** ، المرجع السابق ، ص 275 . 277

[2]- محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 82

الأشجار المثمرة بالمناطق الجبلية بالقبائل و المدية و ازدهرت البساتين بأراضي الفحوص المحيطة بالمدن الرئيسية كوهران معسكر و تلمسان والمدية وملیانة وبليدة والقليعة وعنابة وقسنطينة ، أيضا انتاج البساتين بعض المزروعات النادرة مثل القطن وبنواحي مستغانم والتبغ بالقرب من الجزائر وعنابة و الأرز بالأراضي المروية بسهول الشلف ومينة.

ورغم تنوع المحاصيل فإن الفلاحة الجزائرية في أواخر الفترة التركية كانت تعاني من عدة مشاكل وصعوبات عاقت تطورها وازدهارها ، وتعود هذه الصعوبات إلى الأساليب القديمة المتبعة والآلات البدائية المستعملة في خدمة الأرض فأدوات الفلاح الجزائري آنذاك كانت لا تتجاوز المحراث الخشبي والمنجل البدائي ويضاف إلى هذا الظروف الصعبة التي كان يعيشها الفلاح الجزائري ، لقد كن معرضا للحملات العسكرية كما أنه عرضة للأمراض والمجاعات[1] .

عن الزراعة نجد الأستاذ مبارك الميلي أشار إلى هذا في كتابه تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ذكر أن السياسة الجبائية التركية كانت تشمل عن مظالم اجتماعية جعلت الفلاحين ينصرفون عن الفلاحة ويفضلون تربية المواشي إذ يستطيعون أن يفرون بها في وجه الحياة دون الحبوب التي تشدهم إلى مكان معين وتجعل منهم عبيد الأرض وعبيد الحياة .

وهذا لا يعني أن الجزائر لم تكن بها فلاحة مزدهرة ولكنه يعني أن الثروة الزراعية كان من الممكن أن تكون أهم بكثير مما كانت عليه لولا تلك السياسة الجبائية الظالمة[2] .

أما الاستاذ عمار عمورة فذكر ان سكان الريف وهم الأغلبية حيث يمثلون 94 بالمائة من مجموع السكان يشتغلون بالفلاحة وتربية المواشي من بقر وغنم و دواجن وكانت الاراضي الفلاحية شديدة الخصوبة تدر منتوجات كثيرة ومتنوعة من خضر وفواكه لكن السياسة الجبائية التركية المرتفعة قلصت نوعا ما النشاط الفلاحي خاصة عندما نقصت المغانم البحرية في السنوات الاخيرة من العهد التركي بسبب فقدانهم السيطرة على البحر المتوسط وأهم مورد فلاحي كان مخصصا للتصدير هي الحبوب من القمح والشعير .

كما أشار الأستاذ عمار عمورة أن الأراضي كانت مقسمة إلى أراضي العرش وهي ملك القبيلة وأراضي الملك الكبيرة التابعة للإقطاعية البرجوازية وأراضي فردية للأسر[3].

- نصر الدين سعيدوني : **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني** ، المرجع السابق ، ص ص 30 ، 33

[2]- مبارك بن محمد الميلي :المرجع السابق ، ص 309

[3]- عمار عمورة: المرجع السابق ، ص 106

أيضا ذكر الأستاذ يحي بوعزيز في كتابه الموجز في تاريخ الجزائر في جزئه الثاني أن الجزائر في عصر البايلربايات أي في الفترة الممتدة ما بين 1518 إلى 1587 ، أيضا تميزت بغنى اقتصادي ، يرجع الى غنى البلاد زراعيا وتنوع الموارد المالية التي تتزود بها خزانة الدولة ومن أهمها أموال الزكوات على الماشية والحبوب والزيتون أيضا رسوم الحكر على أراضي المخزن كذلك الغرامة واللزمة أيضا خمس غنائم البحر التي يغنمها الرياس و العوائد والهدايا التي يقدمها قناصل الدور عند تعيينهم في المناصب الجديدة[1].

عن الزراعة ذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر انها عرفت بتنوعها وذلك من حيث طبيعتها وقيمتها وقد صنف الاستاذ سعيدوني المنتجات الزراعية والرعوية حسب المناطق المختلفة كما يلي:

منطقة الفحوص : هي مجال زراعة مكثفة متطورة نسبيا و تتمثل مجالات اختصاصها في الأشجار المثمرة وانتاج الخضر

منطقة متيجة السفلى : تغطيها البراري وتنتشر فيها أحواش البايليك ، وتمارس بها زراعة مختلطة وعلى نطاق واسع وذات مردود مرتفع ، وهي موجهة أساسا لتلبية حاجيات البايليك من البهائم المستعملة في الأعمال الزراعية والمواشي والحبوب .

منطقة متيجة الأقل رطوبة :يمارس فيها نشاط زراعي متطور ومزدهر نسبيا وتنتج أحواشها الكبيرة ومزارعها كميات معتبرة من الحبوب والفواكه.

المنطقة الجبلية من الأطلس المتيجي : تغلب عليها زراعة معيشية الهدف منها تحقسق الاكتفاء الذاتي[2].

كما أشار الأستاذ سعيدوني أنه رغم اختلاف هذه المناطق الزراعية الثلاث تتكامل فيها بينها من حيث خصوصياتها وطبيعة انتاجها الذي يشمل المواد التالية:

***الحبوب :**

أكثر الحبوب زراعة بإقليم مدينة الجزائر القمح والشعير واللذان يعرف الفلاحون أصنافهما وكيفية زراعتهما ، وتتم زراعة وسقي حقول الحبوب بالأحواش بشكل جيد ، وتعطي محاصيل وفيرة ،

[1]- يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق ، ص 30

[2]- نصرالدين سعيدوني :**الحياة الريفية بإقليم الجزائر**، المرجع السابق ، ص 251

كما تشهد الأمثال الشعبية على ازدهار زراعة القمح و الشعير . بمتيجة التي وصفت بالجنة على وجه الأرض.

***الزيتون والتين :**

يشكلان موردا غذائيا تجاريا مهما ، وتتم زراعة أشجار الزيتون والتين في المنحدرات المنخفضة في الوهاد وفي منحدرات وسفوح الجبال ، كما تكمل شجرة تين شجرة الزيتون و تتأقلم مع كل أنواع التربة من اكثرها جفافا إلى أكثرها رطوبة ، وتنمو أشجار التين حتى ارتفاع 1.200 تر في شمال الأطلس إلا أن زراعتها في هذا الارتفاع غير ملائمة لطبيعتها .

***زراعة الأشجار المثمرة :**

تشكل قطاعا مهما ومتنوعا من قطاعات النشاط الزراعي واهم الأشجار المستغلة بجنات الفحوص وبساتين الأوطان والقيادات أشجار البرتقال والليمون والرمان ، والتفاح و البرقوق و الاجاص و المشمش و الخوخ و الجوز[1].

***زراعة الخضر :**

تزرع بالجنات المنتشرة بالفحوص كل أنواع الخضر الجافة والطازجة وهي تزود المدن بمختلف أنواع الحمص و الفول و البصل والفلفل الحار و الجزر والفاصولياء واللفت ، كما تمارس زراعة الخضر في بساتين قبائل الأطلس حيث يخصص أهالي بني صالح و موزاية و بني مناصر ، قطع أرض محددة تتم زراعتها بعناية .

***الزراعات الخاصة أو الصناعية :**

تتمثل في التبغ والكتان والقطن والأرز والكروم باستثناء التبغ والكروم كانت الزراعات الأخرى متواضعة ولا ترقى لتغطية الحاجيات المحلية ولا تساهم إلا بقسط ضئيل في تجارة إقليم مدينة الجزائر ، أما زراعة التوت فقد فقدت أهميتها مع تقلص دور الأندلسيين بالأرياف.

[1]- نصرالدين سعيدوني :**الحياة الريفية بإقليم الجزائر**، المرجع السابق ، ص 252 ، 255

***الغابات :**

تستعمل أخشابها في صناعة الأدوات ذات الاستعمال المنزلي وفي تحضير فحم الحطب المخصص للطهي والتدفئة كما توفر الغابة الحطب الموجه لبناء السفن .

***المراعي والمواشي :**

وتنحصر مساحات الرعي في الأماكن التي لا تصلح للزراعة والتي تغطيها نباتات العوسج و أشجار الغابة ، وتقع أغنى المراعي عند سفوح تلال الساحل وهي مستنقعات يستعملها جميع السكان كمراع صيفية [1].

قسم الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني الزراعة خلال العهد العثماني إلى أربع فترات متعاقبة كل فترة تتميز على أخرى بأحداث كان لها تأثير على وضعية الأراضي وهي :

الفترة الأولى :عرفت الجزائر ازدهارا ملحوظا تحت حكم البايلرباي 1518-1588 وأثناء فترة الباشوات (1588- 1659) بعد فترة طويلة من الانهيار الاقتصادي والاضمحلال العمراني فكثر الانتاج واستقر الملكيات مع توطن القبائل بالسهول الداخلية التي تحولت في أغلبها إلى أراضي مشاعة.

الفترة الثانية : عرفت الجزائر أثناء هذه الفترة حكم الأغوات (1659 – 1671) تضرر الزراعة و تحول الكثير من الأراضي المنتجة للحبوب إلى ملكيات للبايليك أو مزارع مشاعة بين أفراد القبائل الحليفة أو العشائر الخاضعة بعد أن انقطع سيل الهجرة الأندلسية.

الفترة الثالثة : ساعد استقرار الحكم وظهور دايات أقوياء و أكفاء أمثال كردعبدي باشا (1724 – 1732) وابراهيم باشا (1732-1745) ومحمد بكير باشا (1748 - 1754) على توسيع أراضي الدولة بمواطن العشائر التي تم اخضاعها في الوقت الذي استقرت فيه أوضاع الملكية المشاعة.

الفترة الرابعة : بدأت الأوضاع تسوء إثر موت الداي محمد عثمان باشا وتولي الداي بابا حسان مقاليد (1791-1798) ثم الداي مصطفى باشا (1798-1805) اللذين انتهجا سياسة جديدة قوامها تصدير المزيد من المحاصيل الزراعية إلى الخارج[1].

[1]- نصرالدين سعيدوني :**الحياة الريفية بإقليم الجزائر**، المرجع السابق ، ص 255 ، 259

كما يذكر الأستاذ محمد العربي الزبيري في كتابه التجارة الخارجية للشرق الجزائري أن الجزائر العثمانية كانت بلدا فلاحيا بالدرجة الأولى مناخها جميل أرضها طيبة ، توجد بها مراع شاسعة وسهول فسيحة ، كما انها تنتج كميات هائلة من القمح الشعير والصوف والجلود والشموع ، أما مراعيها فتزخر بأنواع الحيوانات المختلفة مثل الابقار والغنام والماعز..

ويذكر ان سهول متيجة تعتبر من أجمل الاراضي وأوسعها في العالم وذلك نظرا لمناخها وخصبتها وموقعها ، وهي تمتد على مساحة قدرها بالتقريب 330 ميلا مربعا ، اما نواحي جيجل فإنها تنتج الشعير والجوز والتين والزيتون[2].

وذكر الأستاذ محمد العربي الزبيري ان الملكيات في الأرض انواع:

ا- ملكية خاصة: وهي قليلة ولا تكاد تكون موجودة إلا في ضواحي المدن وهي شبه إقطاعية ، يستأجر المالك فلاحا يدفع عنه ديونه إن كانت له ديون ليصبح من أملاكه.

ب- ملكية مشاعة: هي أراضي العرش التي يستغلها كامل أفراد القبيلة كل حسب طاقته ، ولكن أسبقية تعطى للمعوزين حتى يتخلص من الفقر والفاقة.

ج- الأحباس وأملاك الدولة: وتشرف على تسييرها المصالح الادارية بمساعدة قبائل المخزن ، وفي بعض الأحيان تعطى هذه الاراضي للأفراد أو لقبائل تستغلها مقابل أجر يتفق عليه[3].

ويذكر العربي الزبيري أن الجزائر كانت تنتج كميات من الأرز الرفيع تباع للأهالي بأثمان معقولة كما كان الجزائريون يقومون بزراعة الكتان في جهات متعددة وهو من النوع الممتاز حتى ان الديوان يرسل منه هدايا إلى القسطنطينية[4].

---

[1]- نصرالدين سعيدوني : **الملكية والجباية** ، المرجع السابق ، ص 120 ، 123

[2]- محمد العربي الزبيري :المرجع السابق ، ص 58

[3]- المرجع نفسه : ص 58

[4]- محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 60

- **التجارة :**

عن التجارة نجد الأستاذ ناصر الدين سعيدوني ذكر أن حركة التبادل التجاري على الصعيدين الداخلي والخارجي كان لها تأثير مباشر على الوضع الاقتصادي والمالي للإيالة الجزائرية فالتجارة الداخلية كانت تتم داخل المدن أو بواسطة الأسواق الاسبوعية والسنوية في الارياف وقد عزز هذا التبادل التجاري الداخلي عاملان هما :

أ-تشجيع الحكومة للأسواق التجارية سعيا لفرض نفوذها على سكان الأرياف عندما يختلفون إلى هذه الأسواق.

ب-مرور قوافل عبر الأراضي الجزائرية نحو المشرق العربي أو بلاد السودان.

أما التجارة الخارجية فنجد ناصر الدين سعيدوني ذكر أنها تتم مع بقية بلدان المغرب العربي و الأقطار العثمانية بالمشرق بالإضافة إلى الدول الأوربية التي ما فتئت اهمية التبادل التجاري تتزايد معها شيئا فشيئا.

فالتجارة مع تونس و المغرب الأقصى و بقية الاقطار العثمانية بالمشرق كانت تعتمد على المواد الكمالية و كانت هذه التجارة تدر ارباحا وافرة على المساهمين فيها لأنها متصلة بموسم الحج .

أما التجارة مع بلاد السودان فكانت تعتمد على الحاجات الضرورية للعيش الى جانب بعض المواد الكمالية مقابل استيراد العبيد و ريش النعام لكن هذه التجارة اصابها الضعف و الانكماش بعد انفتاح بلاد السودان على المحيط الاطلسي و انعدام الأمن بالطرق الصحراوية[1].

كما ذكر مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر في القديم و الحديث أن السياسة الجبائية الظالمة أثرت على تطور التجارة في المواد المتفرعة عن الفلاحة فحرمت الخزينة الجزائرية من موارد الهامة، فالكميات الهامة من الجلود والصوف والشمع والزيوت و الحبوب التي كانت موضوع المبادلات التجارية ، كانت في كل غالب الاحيان تهرب بواسطة السوق السوداء حتى لا تقع تحت طائلة الضرائب الفادحة ، أيضا ذكر مبارك الميلي أن التدهور الاقتصادي في العهد التركي هو انعدام تلك الاتصالات التجارية التي كانت تربط بين المغرب العربي من جهة وإفريقيا السوداء من جهة اخرى وقد أثر فقدان هذه

[1]- نصرالدين سعيدوني :**النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني**، المرجع السابق ، ص ص 36 ، 38

الاتصالات على الاسواق الداخلية الجزائرية لأن النظام التركي أراد تعزيز المركزية الإدارية بمركزية اقتصادية[1].

حيث نجد الأستاذ عمار عمورة في كتابه الموجز في تاريخ الجزائر ذكر ان المبادلات التجارية المحلية بين سكان الأرياف والمدن تنظم داخل أسواق أسبوعية يتم فيها تبادل السلع بالنقود و المقايضة ، و لتسهيل المواصلات الداخلية والخارجية ربطت المدن بالطرق المعبدة .و اعتنوا بالموانئ لتصدير منتوجاتهم الصناعية والزراعية ومن الصادرات الجزائرية نحو الدول الأوربية نذكر القمح والشعير والمواشي والزيت و العسل و التين و التمور و الصوف و الشموع و الجلود و تستورد القهوة و السكر و الشاي و الورق ، وتتم هذه العمليات التجارية تحت رقابة الدولة و مقابل دفع حقوق الجمارك وكانت للدول الأوربية بالجزائر قناصل ترعى المصالح التجارية لدولتها ، و تمول مصادر دخل الخزينة العامة للدولة من طرف ضرائب الزكاة و العشر و الغرامة و العوائد و رسوم الحكور المفروضة على أراضي البايليك و جزية اليهود و رسوم الجمارك والأسواق و التركات التي تؤول إلى بيت المال في حالة انعدام ورثة شرعيين و غنائم القرصنة و الأموال التي تدفعها أوربا لاتقاء هجومات القرصنة و هدايا الدول الأجنبية[2].

كما ذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أنها تقام أسواق محلية صباح أيام الأسبوع في الهواء الطلق ، هذا ويتصف المشهد المألوف للسوق الريفية يتوزع عدد أكواخ والخيام حول مكان ما وتستعمل كمقاه أو دكاكين تفرش على أرضها حصائر من ألياف الخيزران أو جلود تعرض فوقها البضائع المختلفة ، كما أنها تذبح البهائم والمواشي في عين المكان بالإضافة إلى هذا فان المتسوق يجد في أسواق القبائل الفواكه المجففة والشعير والقمح والخضر والفطائر والحلويات والدجاج والملح والصابون والتبغ والسكر والقهوة.

كما أشار الأستاذ سعيدوني أن أسواق المدن و الأسواق الريفية العديدة الإطار الوحيد لتصريف المنتجات الزراعية والريفية[3].

كما ذكر الأستاذ سعيدوني أنه يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الأسواق حسب دورها وموقعها وطبيعة البضائع المعروضة فيها وهي:

[1]- مبارك الميلي: المرجع السابق ، ص ، 310

[2]- عمار عمورة: المرجع السابق ، ص، 107

[3]- نصر الدين سعيدون : **الحياة الريفية بإقليم الجزائر**، المرجع السابق ، ص ، 280

***أسواق المدن ونحوها:**

مدينة الجزائر تضم سوقين مخصصين أساسا في المبادلات مع الأرياف أولهما ليست لها أهمية كبرى وهو يقع خارج باب عزون ويقع ثانيها خارج باب عزون في شكل شارع طويل مؤلف من 30 إلى 40 منزلا تصطف على الطريق الرابط بين الجزائر و تافورة.

أما مدينة البليدة فتوجد بداخلها سوقان سوق ثالثة بفحوصها أولها سوقا لزرع وثانيها سوق تعرف بسوق الجمعة وتعرض فيها كل البضائع الأخرى ، أما بالسوق الثالثة التي لا بعد كثيرا على باب الجزائر وسط البساتين فتعرف بسوق الخميس.

***أسواق الأوطان:**

وهي أسواق أسبوعية يطلق عليها اسم اليوم الذي تقام فيه ، ويختلف عددها في كل وطن باختلاف أهمية واتساع الإقليم الذي تخدمه.

وطن يسر ، وطن الخشنة ، وطن بني موسى ، وطن بني خليل ، وطن حجوط .

***أسواق القبائل:**

أهمها سوق السبت بين قبائل بني خليفة وبني موسي الجبل كما يطلق عليها اسم موقعه ، السبت ملوان أو سبت البلوط وغيره أسواق كثيرة منها سوق الاثنين وسوق الثلاثاء وسوق الأحد .

أيضا أشار الأستاذ سعيدوني أن الأسواق ضرورة اقتصادية وأداة رقابة وتمثل الأسواق تقليدا راسخا للحصول على الأخبار و الآراء أونشرها[1]

وذكر الأستاذ محمد العربي الزبيري أن التجارة في الجزائر كما هو الشأن في جميع البلدان داخلية وخارجية.

الداخلية: تتم في الأسواق المحلية أو الجهوية ، وفي الحوانيت والمعارض السنوية وتتناول كل ما يحتاج اليه السكان من منتوجات ومصنوعات محلية كانت أو مستوردة ، والتجار الذين يقومون بها في المدن ينظمون ضمن هيئات يشرف عليها كل واحدة أمين يجمع الرسوم المفروضة على كل واحد ويسلمها الى المصالح الإدارية أما في الأسواق والمعارض فإن التاجر يدفع الرسم قبل الدخول اليها.

الخارجية: فتتم مع اوروبا عن طريق الموانئ بواسطة الأجانب وعدد قليل من الجزائريين ومع إفريقيا بواسطة الأهالي وحدهم يساعدهم من حين لأخر جماعة من اليهود[2].

---

[1]- نصر الدين سعيدوني : **الحياة الريفية بإقليم بمدينة الجزائر** ، المرجع السابق ، ص ص 281 ، 283

[2]- محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 67

*العملة:

عن العملة نجد الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر ذكر أن لجزائر تعتمد نظام عملات مختلط يتم فيه وفي نفس الوقت تداول العملات المحلية و الاوروبية والعثمانية وفيها تتم أغلب المبادلات الخارجية بالعملات الأوربية تستعمل العملات المضروبة بالجزائر في المبادلات المحلية وفي الصفقات العقارية .

كما أشار الأستاذ سعيدوني إلى أهم العملات التي تستعمل في الأرياف وهي:

السلطاني أو سكة الجزائر : وهي عملة ذات قيمة مرتفعة تستعمل خاصة في دفع دنوش الأقاليم وفي صفقات بيع البيوت و الأراضي الزراعية ، تزن هذه العملة في شكلها القديم بين 3 و3.5 وتعادل 9.6 إلى 11 فرنك .

ريال دراهم صغار أو بدقة شيك ، ودراهم صغار.

كما ذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني أن السكان يتعاملون بعملات أجنبية مختلة أهمها الكوادروبل الذهبي الإسباني ، و الدورو الإسباني[1].

كما ذكر المنور مروش في كتابه دراسات عن الجزائر في العهد العثماني أول شهادة عند بدايات العملة العثمانية في الجزائر أوردها حسن الوزان يقول أنه مر سنة 1516م بالجزائر و انه بعد مقتل سالم الثعالبي استولى عروج على الحكم وبدأ في سك العملة ، ومن أقدم الدنانير العثمانية المسكوكة في الجزائر قطعتان بمتحف اسطنبول باسم السلطان سليمان القانوني وبتاريخ 1520م ، وقد حافظت الدنانير السلطانية المضروبة في الجزائر على وزنها وجودتها وقيمتها حتى القرن 19 ميلادي بالرغم من أنها اخف من الدنانير الزيانية فإن قيمتها كانت أعلى بسبب عيارها المرتفع وانتظام ضربها واستقرار شكلها.

وأما الدرهم فأقدم قطعة في العهد العثماني هي قطة مضروبة في الجزائر باسم السلطان سليم الأول وتحمل تاريخ 1512م وهو تاريخ توليه السلطنة ، كما أن درهما مضروبا باسم السلطان مراد الثالث وكان للدرهم أقسام هي نصف درهم وثلث درهم وسدس درهم عبارة عن نحاسية كانت تدعى الخروبة وبعد توالي الضعف صارت الخروبة تساوي 14.50 درهما واستعملت مدة طويلة كوحدة حسابية[2].

[1]- نصر الدين سعيدوني : **الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر** ، المرجع السابق ، ص ص 279 ، 300

[2]- المنور مروش : **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني** (العملة الاسعار المداخيل) ، ج1 ، دار القصبة للنشر الجزائر، 2009 ص 35 ، 36

الخاتمة

لقد كان مجهودنا وسعينا في اختيار نماذج مختلفة من الكتابات المحلية بهدف الوصول الى نظرة حقيقة لجود مدرسة تاريخية جزائرية تهتم بتاريخ الجزائر الحديث نظرة تتضح من خلالها الصورة التي ينتابها الغموض الضبابي في كثير من الاحيان وتتداخل فيها المواقف بين مؤيد ومعارض لمواقفها وسياستها وتضييع الحقيقة وسط هذا الزخم من التأليف المتضاربة كما حاولنا الاعتماد على المصادر والمراجع في بحثنا وخاصتا المحلية لان اصحابها يعرفون اكثر من غيرهم حقيقتها وكتاباتهم المستوحاة من الوثائق والمخطوطات والمصادر المحلية المتعلقة بالموضوع.

ومن النتائج والاستنتاجات التي استخلصناها من خلال دراستنا للمؤلفات التاريخية والتي شملت اغلب الميادين السياسية والاجتماعية منها والاقتصادية والثقافية حيث توقفنا عند الدراسة الاكاديمية والعمل الجاد والمنهج في تناول موضوعات الفترة عند اغلب المؤلفين السابق ذكرهم بالإضافة الى تأكدنا انهم استطاع ان يؤسسوا نوات المدرسة التاريخية الجزائرية متدرجين من النقل والتحقيق الى التحليل والدراسة وترجمة الوثائق ونقدها كما ابرزوا في العديد من الكتابات صورتهم النقدية للكتابات الاجنبية الذاتية في ما يتعلق التاريخ المحلي ،وقد تباينت هذه المؤلفات من خلال مجالات الدراسة فقد اهتم بعضهم بالحياة الثقافية في الجزائر فوقفوا عند معالمها ومراكز اشعاعها ابرزوا الدور الفعال الذي لعبته في إثراء الحياة الثقافية كما ترجموا لأغلب علماء الجزائر المهتمين بالعلوم العقلية والنقلية وما خلفوا من آثار واهتمت ثلة أخرى بالحياة السياسية فصوروا لنا مراحل نظام الحكم خلال هذه الفترة والعلاقة بين الحكام والرعية وما رافق ذلك من ثورات وتمردات تعكس تلك العلاقة ،بالإضافة الى ابراز علاقات الجزائر الخارجية وما نجم عنها من معاهدات ومراسلات الاتفاقيات اتسمت بالعداء تارة وبالسلم تارة اخرى .

واهتمت مجموعة اخرى بالجانب الاقتصادي فكان تركيزهم على الصناعات المحلية وما كان من نشاط للحرفيين ، كما ابرزوا صورة الحياة التجارية ومعالمها المتمثلة في الاسواق وأنواع المنتوجات والعملة المتداولة ، وركزوا على اهتمام الجزائريين بالزراعة فصنفوا الاراضي بأنواعها.

وامام الكتابات الاجنبية التي اعتمدت في تصوريها للمجتمع الجزائري على الذاتية والسلبية ظهرة كتابات جزائرية اظهرت مرجعية المجتمع الجزائري وهويته وتركيبته السكانية والوقوف عند مدى التعايش بين فآته من يهود ومسيحيين وأتراك وكراغلة والأندلسيين والجزائريين ،وجاءت العديد من الكتابات الاخرى مصورة للحياة الصحية وما تخللها من أوبئة وامراض ومجاعات وكوارث طبيعية كانت لها انعكاسات على النمو الديموغرافي للمجتمع الجزائري .

وإذا قيمنا هذا البحث فإننا نأمل في الاخير اننا قد ساهنا بجهد متواضع في إثبات وجود مدرسة تاريخية جزائرية اهتمت بالتأريخ لفترة الجزائر العثمانية من خلال كتابات مؤلفيها وبنوع من الموضوعية والمصداقية الى حد بعيد.

الملاحق

ملحق رقم 1: مؤلفات نصر الدين سعيدوني.

ملحق رقم 2 : مؤلفات جمال قنان

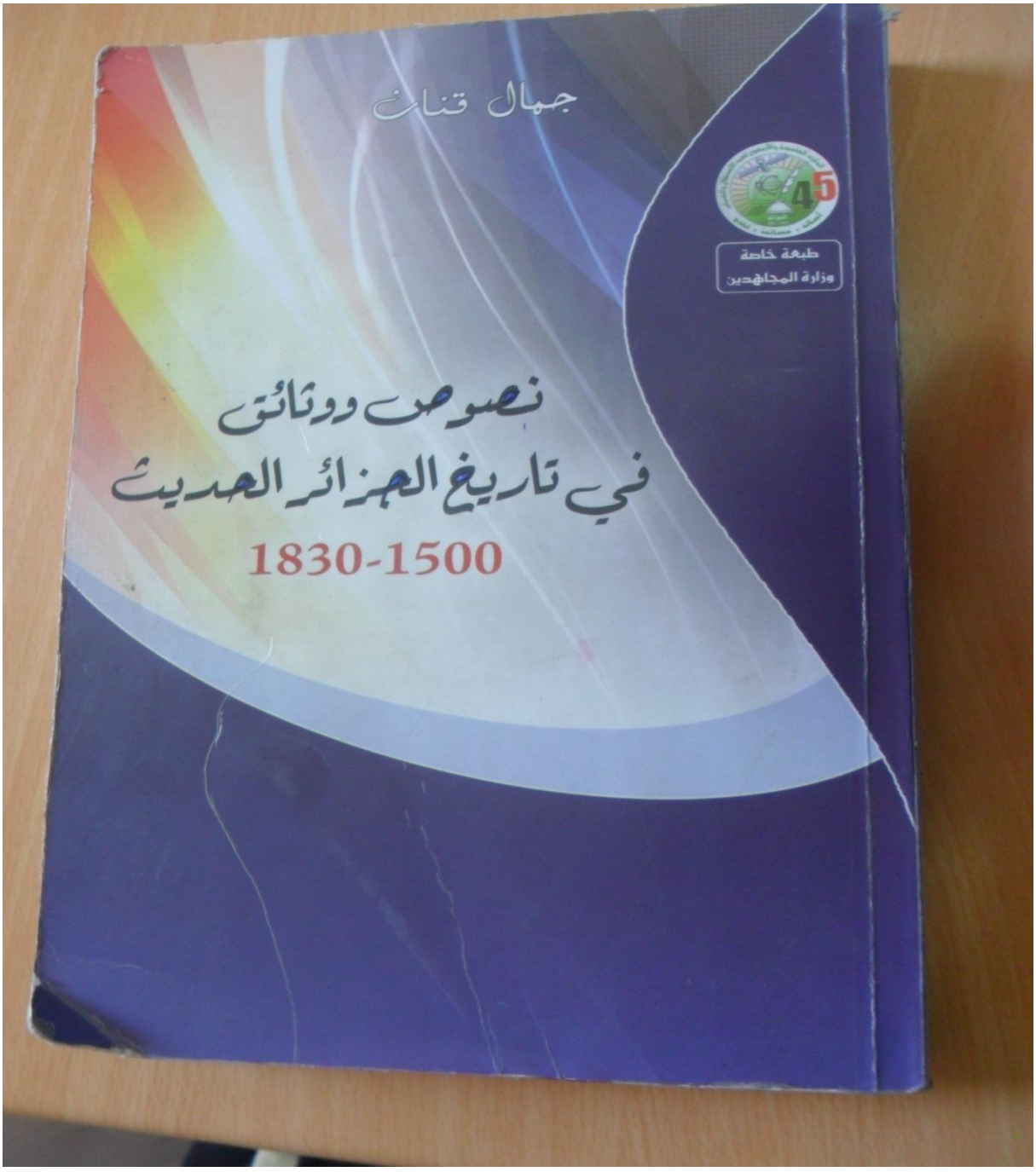

ملحق رقم 3: من مؤلفات ابو القاسم سعد الله .

ملحق رقم 4: من مؤلفات يحي بوعزيز.

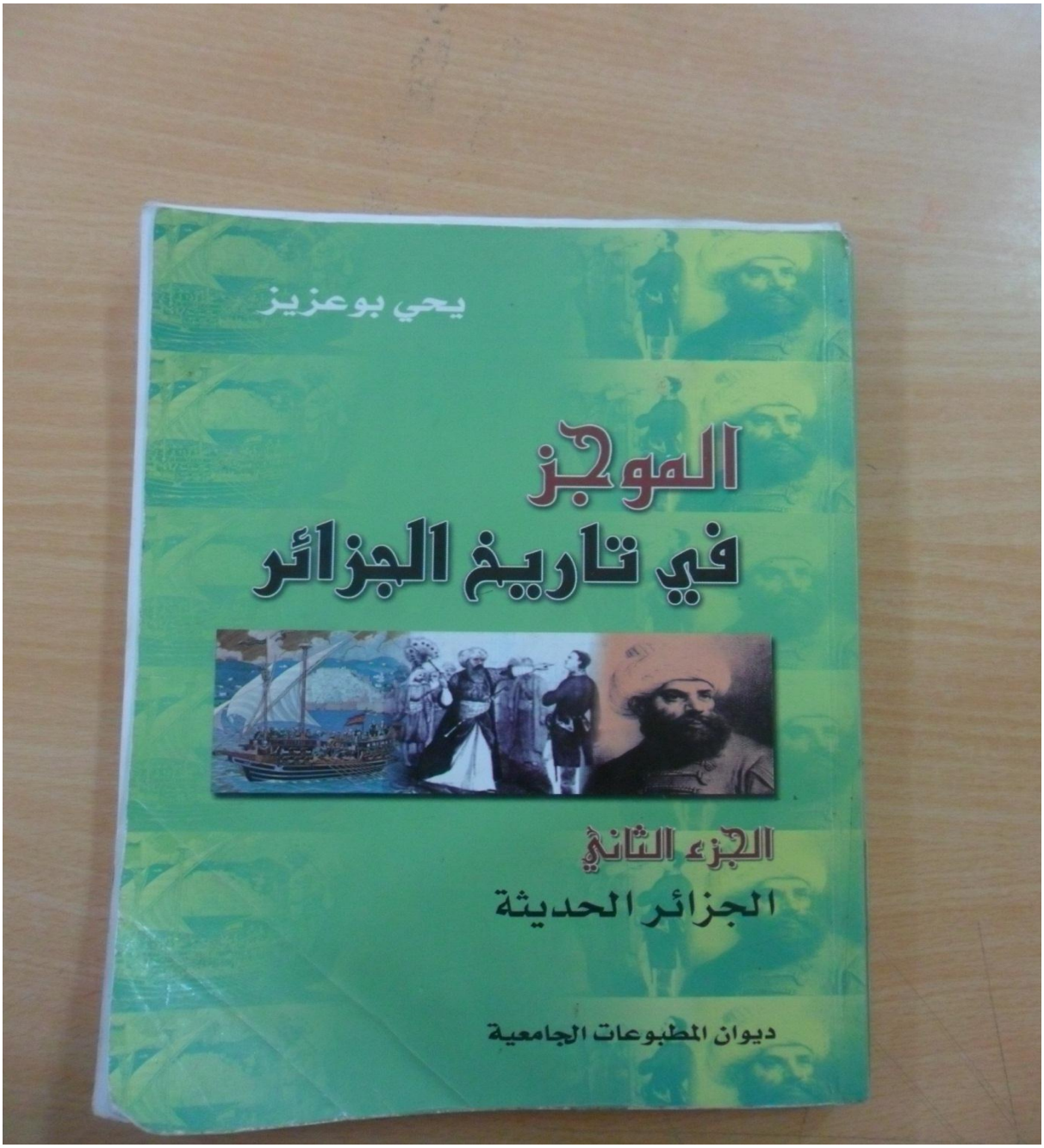

ملحق رقم 5: من مؤلفات لمنور مروش

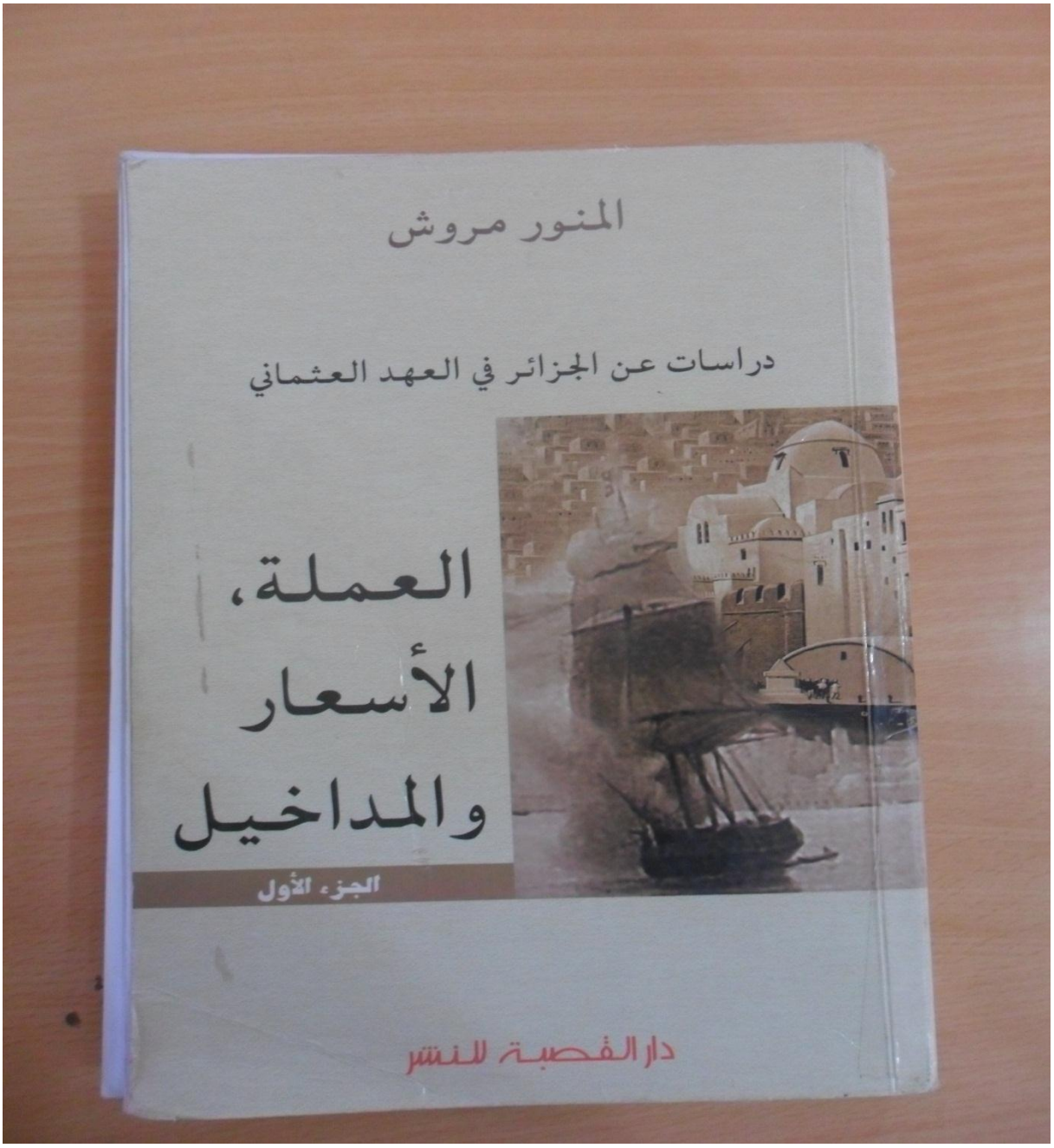

.

ملحق رقم 6: من مؤلفات عبد الرحمان بن محمد الجيلالي.

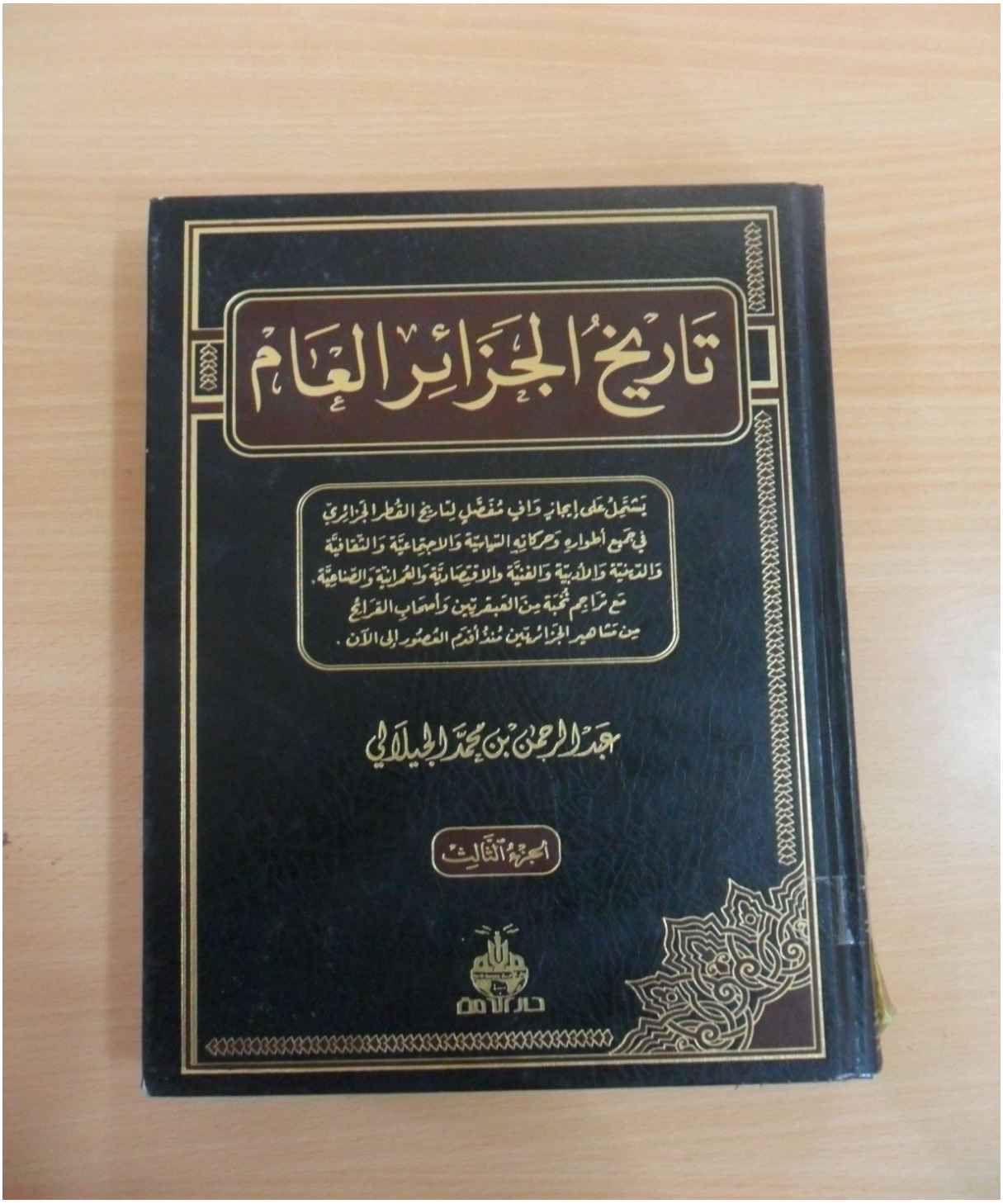

ملحق رقم7 :من مؤلفات مولود نايت بلقاسم.

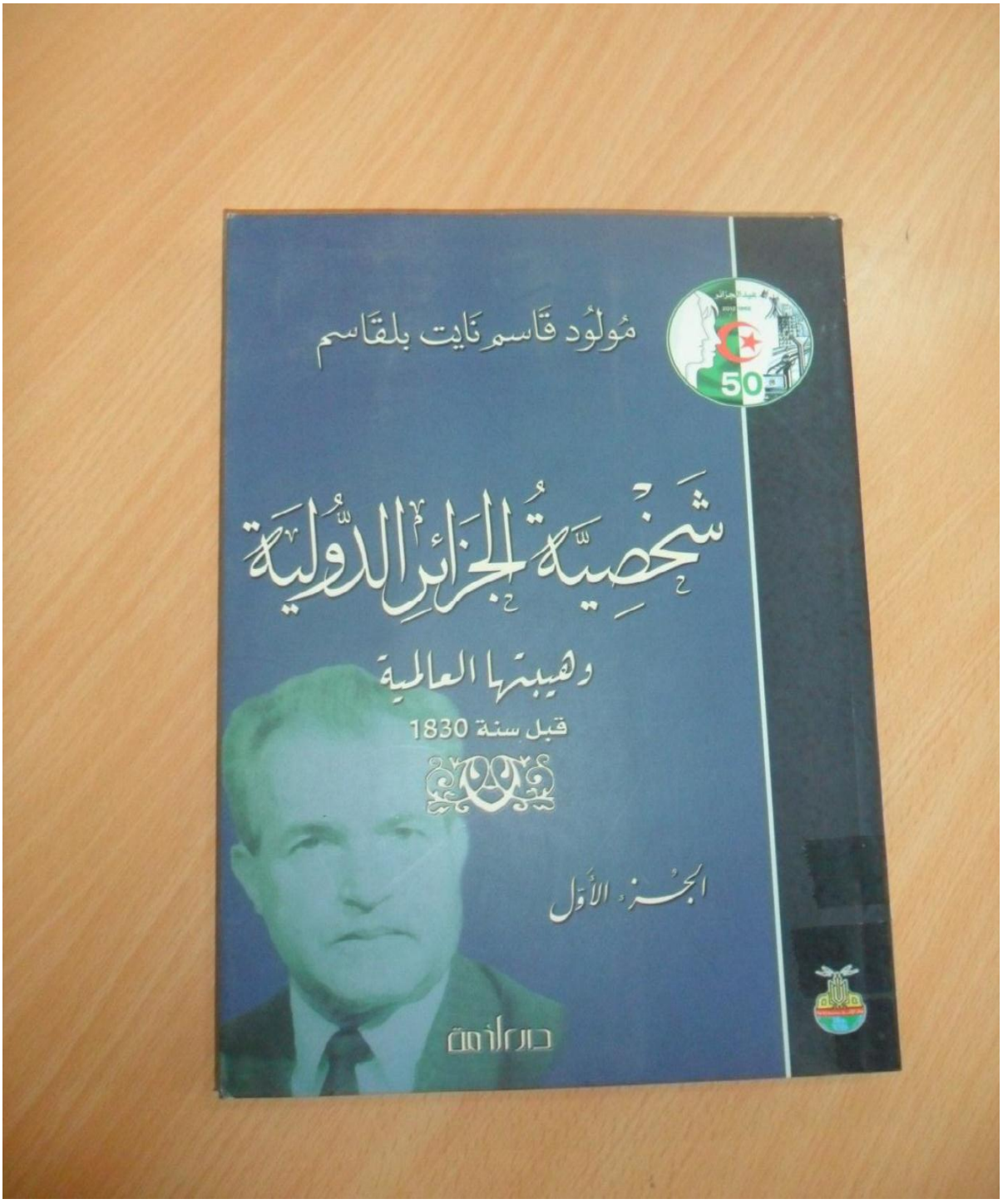

بيبليوغرافيا

- **المصادر**:

1) القرآن الكريم.

2) ابن حما دوش عبد الرزاق :**رحلة ابن حما دوش الجزائري** ،تحقيق وتقديم ابو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983 م.

3) ابو عبدلي الشيخ المهدي :**الحياة الثقافية بالجزائر** ،جمع واعداد عبد الرحمان دويب ، 2013 م .، عالم ، الجزائر ، ط1

4) الحفناوي ابي القاسم محمد:**تاريخ الخلف برجال السلف** ، الجزائر 1906 م.

5(الجزائري محمد ابوراس :**فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته (** حياة ابي العلمية والذاتية) ،تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1961م .،

6) خوجة حمدان بن عثمان :**المرآة** ، تحقيق وتقديم محمد العربي الزبيري ، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والاشهار الجزائر ، 2008 م.

7) شاوش ابن المفتي حسين بن رجب :**تقييدات ابن المفتي في تاريخ الجزائر وعلمائها** ،تحقيق فارس كعوان ، ط 1 ، بيت الحكمة ، الجزائر ، 2009 م.

8) مليتي المديوني التلمساني ابن عبد الله محمد بن محمد بن احمد :**البستان في ذكر الاولياء والعلماء في تلمسان** ، تحقيق محمد ابن ابي شنب ، الجزائر 1908 م.

- **المراجع:**

9) ، بلقاسم مولود نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها قبل 1830 م**، ج1 ط 1 ، الجزائر ، 2007 م

10) بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1960 م**،ط 2 ، دار الغرب
الاسلامي ،بريوت ، 1927 م

11) بوعزيز يحي :**اعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ط 1 ،ج 1 ، دار الغرب الاسلامي ،بريوت ،1995.

11) يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**،ج2، ديوان المطبوعات الجامعية،.2009

12) الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**،ج3،شركة دار الامة، الجزائر،2009) .

13) الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1972

14) سعد الله ابو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**،ج1، عالم المعرفة ،2009

15) سعد الله ابو القاسم: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث** ،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982

16) سعيدوني نصر الدين: **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**،ط2، البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2013

17) سعيدوني نصر الدين: **الحياة الريفة بإقليم الجزائر** (دار السلطان) اواخر العهد العثماني (1791–1830) دار البصائر ، الجزائر ،2012

18) سعيدوني نصر الدين: **دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة** ،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1988

19) سعيدوني نصر الدين: **الملكية والجباية في الجزائر اثناء العهد العثماني** ،دار البصائر ،الجزائر ، 2012 م.

20) سعيدوني نصر الدين: **النظام الملي للجزائر اواخر العهد العثماني 1792 م– 1830** ،البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2012 م.

21) سعيدوني نصر الدين: **ورقات جزائرية** ،ط 2 ، البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر،2012

22) سعيدوني نصر الدين: **ولايات المغرب العثماني** (الجزائر–تونس–طرابلس–المغرب)، ط2، البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر،2013م

23) قنان جمال : **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830** المؤسسة الوطنية للطباعة ، الجزائر ، 1987 م.

24) عمورة عمار :**موجز في تاريخ الجزائر**، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 م.

25) عمرياوي احميدة :**قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث** ، دار الهدة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2005 م.

26) مروش المنور :**دراسات عن الجزائر في العهد العثماني** (العملة الاسعار و المداخيل)، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2009 م.

27) الميلي مبارك بن محمد الهلالي :**تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، ج 3 ، مطبعة بدران وشركائه ، لبنان ، 1964 م.

***الرسائل والاطروحات الجامعية:**

28) شويتام ارزقي :**المجتمع الجزائري - وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830** ،رسالة ماجيستري جامعة الجزائر قسم التاريخ ، 2005-2006

29) كليل صالح :**سياسة خسر الدين في مواجهة المشروع الاسباني**، رسالة ماجيستر -تاريخ حديث ومعاصر جامعة باتنة ،قسم التاريخ ، 2006-2007

30) معمر رشيدة شدري :**العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر** ،رسالة ماجيستري، -تاريخ حديث ،جامعة الجزائر ، 2005-2006

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
البسملة	
الاهداء	
كلمة شكر	
مقدمة	ا – ج
الفصل التمهيدي: المدرسة التاريخية الجزائرية	
انتاج المدرسة التاريخية الجزائرية	5
انتاج المدرسة التاريخية الحديثة	6 – 7
الفصل الاول : الجانب السياسي	
المبحث الاول: نظام الحكم	9
المبحث الثاني: الثورات والتمردات	15
المبحث الثالث: العلاقات الجزائرية والمعاهدات	21
– العلاقة مع الخلافة العثمانية	21
– العلاقة مع ايطاليا	22
– العلاقة مع البرتغال	23
– العلاقة مع المانيا	23
– العلاقة مع اسبانيا	23 – 24
– العلاقة مع الدول المغاربية	27– 28
الفصل الثاني :الجانب الاجتماعي والثقافي	
المبحث الاول: التركيبة السكانية	30 – 33
سكان المدن	33
الجالية اليهودية	35
المبحث الثاني: الصحة	37
الأوبئة	39
الزلازل	40
المجاعات	41
المبحث الثالث: الجانب الثقافي	43

المراكز التعليمية	43
الاوقاف	44 -43
المساجد	45 -44
الزوايا والرباطات	46 - 45
المدارس والمعاهد العليا	46
العلماء ومؤلفاتهم	52
محمد ابو راس الجزائري	54-52
عبد الرزاق بن حما دوش	55-54
ابو مالك عبد الواحد بن احمد الونشريسي	56-55
الشيخ الحسن الورتلاني	56
عبد الرحمان الاخضري	57
ابو مهدي عيسى الثعالبي	58-57
الفصل الثالث : الوضع الاقتصادي	
المبحث الاول: الصناعة	60
الاسلحة	62
صناعة الخزف	62
الخشب والفحم	63
الجلود وصناعة المجوهرات	63
المبحث الثاني: الزراعة	64
الحبوب	66
الزيتون والتين	67
زراعة الخضر	67
الغابات	68
المبحث الثالث: التجارة	70
اسواق المدن	72
اسواق الاوطان	72
اسواق القبائل	72
العملة	73
الخاتمة	76-75
الملاحق	84-78

بيبليوغرافيا	88-86
الفهرس	93-90